الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ....

رقم التسجيل ط1: 1535110715

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان:

الرحلة الجزائرية الحديثة الأنساق الثقافية

رحلة أبو القاسم سعد الله –انموذجا–

إعداد الطالبة:

– نادية مقورة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	جامعة	الصفة
د.كاهية باية	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	رئيسا
د.جميلة روباش	أستاذ محاضر"أ"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د.بن مساهل باية	أستاذ محاضر"أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية 1441–1442هـ/ 2021/2020.

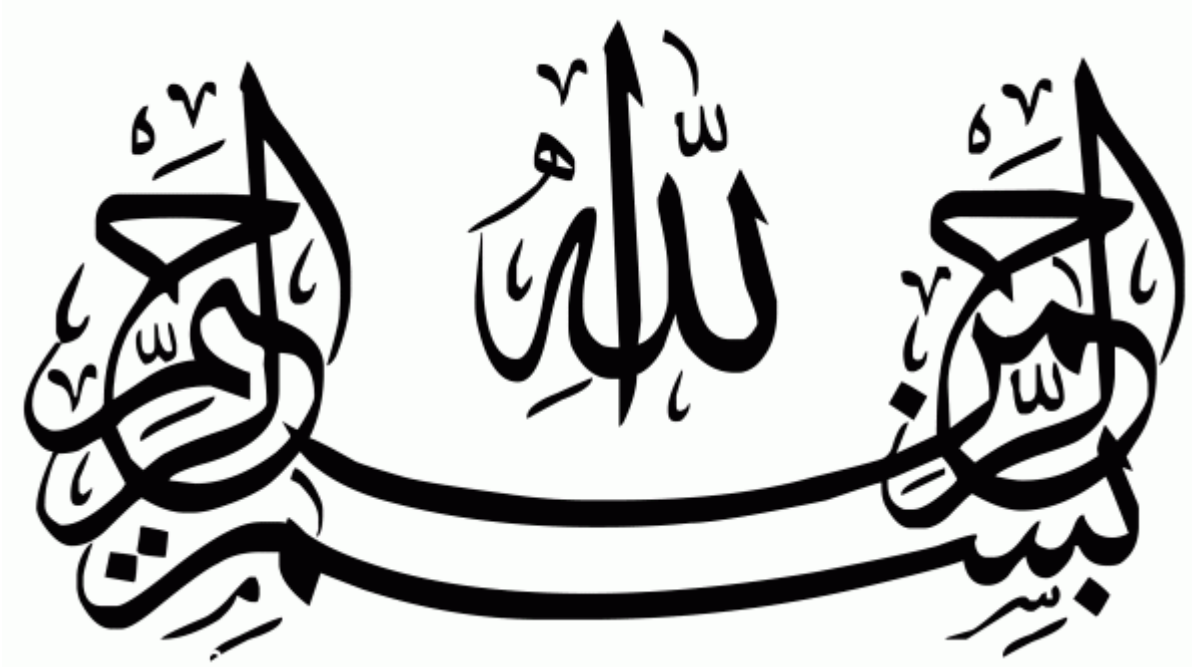

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى:

إلى مثال المحبة والعطف والحنان وملهمة الروح والنور التي أضاءت لي طريق العلم والحياة

.أمي الحبيبة حفظها الله

وإلى الذي كان لي مثالا لي للشجاعة والمثابرة والتضحية:

.إلى أبي الحنون الذي أبقاه لنا ذخرا في الحياة

.إلى هدوء نفسي وسكينتها أخواتي: صورية ومنى وأسماء

وإخوتي: حسان وعبد الكريم ورفيق والخير وأولادهم دنيا ومحمد الأمين

. وآخر العنقود توبة

.إلى من ساهم في مساعدتي من قريب وبعيد

.إلى كل أحبتي وأصدقائي: حبكم لي دعم وقوة

- أحبكم جميعا، وممتنة لله أن أجمل حياتي بكم-

شكر وعرفان

أبدأ بشكر الله عزّ وجلّ الذي وفقني لإنجاز هذا العمل، ثم أتقدم

بالشكر الجزيل والتقدير لأستاذي المشرفة الدكتورة "روباش جميلة"

على تكريمها لي بالإشراف على رسالتي هذه، وعلى مساندتها لي وتوجيهي

حين الخطأ وشجعتني حين الصواب، فكانت قبس الضياء في عتمة البحث

وكانت نعم الناصح ومنحتني الثقة وغرست في نفسي قوة العزيمة ولم

تدخر جهدا ولم تبخل عليا من وقتها الثمين أبقاها الله ذخرا لطلبة العلم وجعل

ذلك في ميزان حسناتها وأرضاها بما قسم لها

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم الأدب العربي

مقدمة

مقدمة:

طالما كان الإنسان محبا للحركة والتنقل، فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان، ومع تزايد الحاجات تزداد رغبة الإنسان في الانتقال والسفر لاكتشاف المجهول.

وقد عرف الإنسان الرحلة منذ عصور قديمة، ومارسها العرب منذ الجاهلية كفعل طبيعي، أُنجز لظروف وأسباب معيشية مختلفة، ثم اهتموا بها وأكثروا من التأليف فيها، فتنوعت أسبابها ومقاصدها العلمية والدينية والسياسية و الاجتماعية والاقتصادية.

وإذا كانت بعض فنون الأدب قد حظيت باهتمام كبير من قبل النقاد والدارسين، فكتبت فيها الدراسات، وأعدت بشأنها الرسائل والأطروحات، فإن هناك فنونا أخرى كأدب الرحلة–ورغم بعض ما كتب فيها من مؤلفات، وما أنجز حولها من دراسات– تبقى في كثير من الأحيان مهمشة، وفي حاجة ماسة إلى المزيد من الجهد والدّراسة حتى تعرف على حقيقتها، وتستقيم النظرة إليها، وتتّجه أقلام النقاد والباحثين نحوها فتدرسها وتحللها، وتبعث من جديد الحياة فيها.

وقد تعددت دواعي الرحلة، وتنوعت اتجاهاتها، وكثرت أسبابها ما بين أسباب اختيارية وأخى اضطرارية، وهذا ما يفسر أن عناية العرب والمسلمين بأدب الرّحلات قد بدأت منذ المراحل المبكرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، حيث اقترنت في بدايتها الأولى برحلات العلماء والروّاة لجمع الشعر العربي، وتقصي أخبار الشعراء، ولجمع الحديث النبوي، بعد انتشار المسلمين في مناطق مختلفة من البلاد الإسلامية، وبذلك اعتبرت الرحلة من أهم وسائل تحقيق العلوم وتحصيلها ونشرها.

ثمّ إن المطلع على ما أنجز من دراسات حول الرّحلات، يلاحظ قلة اهتمام الباحثين الجزائريين بفن الرّحلة رغم تميزه، وسيطرة النظرة التقليدية عليهم حين تناوله، وتركيزهم في

دراسته وتحليله غالبا على المضمون الاجتماعي بمختلف مكوناته، دون التفاتة منهم للجوانب الأخرى التي تميزها، وفي مقابل ذلك وقفنا على مدى اهتمام نقاد المغرب خاصة بدراسة هذا الفن وتحليله غالبا وفق المناهج الحديثة.

إن هذا التباين في الاهتمام بالرّحلات والتقصير الحاصل في حقها من قبل الدارسين الجزائريين، وفي طبيعة ما يقدم حولها من الدراسات عندها، كان من الدوافع التي دفعتنا لاختيار موضوع الرّحلة مجالا للبحث، رغبة في دراستها من أجل رصد تاريخها، والتعريف بأهم الرّحالة الجزائريين في العصر الحديث.

ولما كان من متطلبات البحث الوضوح والتحديد والدقة، فقد ارتأينا أن يقتصر مجال بحثنا على الرحلة الجزائرية عند أبي القاسم سعد الله، وقد آثرنا أن يكون موسوما بالعنوان التالي: **الرحلة الجزائرية الحديثة الأنساق الثقافية في رحلة "أبو القاسم سعد الله" مدونة تطبيقية.**

وضمانا لسيرورة متوازنة للبحث وأهمية الموضوع، والتي تتمثل في الكشف عن قيمة الرحلة(أبو القاسم سعد الله) على شاكلة أنساق تعددت داخل النص الواحد استطاعت أن تسهم في تشكيل متن النص، وضرورة إبرازها لإثبات عظيم الإرث الإنساني الثقافي المخبوء بين ثناياها، حيث يغدو النسق الواحد صرحا من المعارف والفنيات، ويتخذ من النص الرحلي النثري(رحلة أبو القاسم سعد الله) مادة للدرس الثقافي، والاشتغال عليها مطاوعة لا جبرا، دون محاولة استنطاق تلك الأنساق تعسفا، بل جعل المنهج في وفاق مع النص المقترح لتحقيق أهداف البحث دون تكلف لمحاولة تطبيق آليات إجرائية لمنهج غير منسجم، ويكون بمحاولة فهم الدلالات، والأنساق المضمرة المراد استنطاقها وتأويلها بصورة واعية.

وعلى هذا الأساس، فإنّ هذه الدراسة، ستحاول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المتعلقة بهذا الفن، ولعل أهم هذه الأسئلة هي: ما مفهوم الرحلة؟ وماهي انواع الرحلات في

مقدمة

الأدب الجزائري وماهي خصائصها؟ وماهي أسس بنائها؟ وما مدى قدرة المناهج النقدية الحديثة، والنقد الثقافي بصفة خاصة على استنطاق النص النثري الرحلي(رحلة أبو القاسم سعد الله)؟ وما غاية سعد الله من تدوين رحلته؟ وما المصادر التي اعتمد عليها في ذلك؟. وهذا ما سنجتهد في الإجابة عن خباياه من خلال البحث في الأنساق الثقافية المختلفة التي يزخر بها النص الرحلي من دينية إلى وفكرية ثم اجتماعية.

اعتمدنا في البحث على خطة من خلال تقسيمه إلى مقدمة ثم فصلين وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولنا فيها أهم عناصر البحث من خلال إبراز الهدف من هذا البحث و الأسباب التي دفعتنا إلى اختياره، وأهميته وطريقة معالجته.

أما الفصل الأول و الموسوم بعنوان" الرحلة في الادب الجزائري الحديث" فقد تركز الحديث فيه عن التعريف بالرحلة و أدب الرحلة لغة واصطلاحا، ودواعي تدوينها وأنواعها وخصائصها وعلاقة أدب الرحلة بالجغرافيا الوصفية ونشأة أدب الرحلة وأهم الرحالة الجزائريين في العصر الحديث.

أما الفصل الثاني والمعنون بـ "**الأنساق الثقافية في رحلات أبو القاسم سعد الله**" فقد قدمنا فيه تعاريف لغوية واصطلاحية للنسق والنّسق الثقافي وقدمنا تحليل نماذج مختلف الأنساق الثقافية منها النسق الديني، الاجتماعي، الفكري والمأخوذة من رحلات أبو القاسم سعد الله

وختمنا البحث بجملة من النتائج وهي بمثابة العصارة لمسار هذه الدراسة والتي أكدنا فيها على أن رحلات أبو القاسم سعد الله حاملة لأنساق ثقافية مختلفة.

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي أساسا، مع الاستعانة لالمنهج التاريخي، مستندين إلى التحليل والتركيب كآليتين إجرائيتين.

مقدمة

ومن أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في دراستنا:

- مجموع رحلات، لأبي القاسم سعد الله.
- أدب الرحلة في التراث العربي، لفؤاد قنديل.
- الأعمال الكاملة لعبد الله الركيبي.
- أدب الرحلات حسين محمد فهيم.
- الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري لسميرة أنساعد.
- اتجاهات الرحالين الجزائريين لعمر بن قينة.

ومن خلال إنجازنا لهذا البحث واجهتنا بعض الصعوبات منها: صعوبة حصولنا على بعض الرحلات المدونة لأبي القاسم سعد الله وعلى بعض المراجع، مع قلة الدراسات التي تناولت موضوع أدب الرحلة عند الجزائريين تاريخا وتحليلا ونقدا، ومع ذلك استطعنا الحصول على أهم ماكتب في الموضوع، بما يسمح لنا بإنجاز هذه الدراسة وإتمامها.

وفي الأخير، لايسعنا إلا أن نتوجه إلى المولى عزّ وجل بالدعاء أن يكون قد وفقنا فيما قدمناه في هذا البحث، فالحمد لله أولا وآخرا، إلى كل من مدّ لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة"**جميلة روباش**" لما لها من فضل التوجيه والإشراف، ومتابعتها لهذا البحث خطوة بخطوة.

الفصل الاول

الرحلة الجزائرية الحديثة بين المفهوم والنشأة

الرحلة أنواعها ودواعي تدوينها:

1- تعريف أدب الرحلة:

أ- لغة:

الرحلة حركة انتقال الشخص أوالأشخاص من مكان إلى مكان آخر، وهذا هو المعنى اللغوي للكلمة، ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس(ت395ه):"رحل:الراء واللام والحاء أصل واحد يدل على مضي في سفر. يقال رحل يرحل رحلة(. . .)، و الرحلة: الارتحال(. . .). ورحله، اذا أظعنه من مكانه"[1]، وعند ابن منظور(ت711ه)، (رحل الرجل)، اذا سار، ورحل رحول، وقوم رُحَّلْ؛أي يرتحلون كثيرا، ورجل رَحَّالٌ:عالم بذلك ومجيد له(. . .)، والتَّرحُل والارْتِحَال: الانتقال، والرحْلَة : اسم للارْتِحَال، وقال بعضهم: الرِّحلة: الارْتِحَالْ، والرُّحْلَةُبالضم:الوجه الذي تأخذ فيه وتريده". [2]

وفي القاموس المحيط للفيرزآبادي:"ارْتَحَلَالبعير:سار ومضى، والقوم عن المكان انتقلوا، كَتَرَحَّلُو والاسم: الرحلة والرحلة بالضم والكسر، أو بالكسر: الارتحالُ؛وبالضم: الوجه الذي تقصد، والسفرة الواحدة". [3]

وتكاد المعاجم الأخرى تكرر المعاني نفسها، وبهذا المعنى أشار القرآن الكريم لرحلتي الشتاءوالصيف اللتين كانت قريش تقوم بهما من أجل التجارة:﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾. [سورة قريش، الآيتين:**01**-02]

إذن، فمعاجم اللغة تجمع على أن الرحلة هي انتقال من مكان الى مكان آخر، وبهذا المعنى يكون العديد من الجزائريين وغيرهم ، قد أنجزوارحلات لاتعد ولا تحصى، لأن الحركة والتنقل من مقتضيات الحياة وطبيعة البشر.

---

[1]. أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء،معجم مقاييس اللغة،تحقيقوضبط،عبد السلام محمد هارون،ج2، ط2،(مادة رحل)،دار الفكر ،سوريا،1979،ص497.

[2]. ابن منظور ، لسان العرب،تحقيق نخبة من الأساتذة،دار المعارف، ج3(مادة رحل)،(د.ط)،(د.ت)، القاهرة،ص1608.

[3]. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط،تحقيق: مكتب التحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،باشراف محمد نعيم العرقسوسي،ط8،مؤسسة الرسالة،لبنان، 2005،ص 1005.

ب- إصطلاحا:

تعددت مفاهيم الرحلة في الإصطلاح، إلا أنه تصب في قالب واحد. فقد عرفها الإمام الغزالي«بأنها نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشثة»[4]جاعلا الرحلة عبارة عن إحتكاك بالآخر بعد الجهد والتعب الناتجان عن اللإنتقال على الرغم من أنه لم يذكر ذلك. لأنه لابد أن تكون في الرحلة انتقال وحركة حتى تكون هناك مخالطة.

أما بطرس البستاني فيعرفها بأنها«انتقال واحد-أو جماعة- من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة»[5].

لأن الرحلة لاتكون من دون غرض معين. وإنما يكون لها دائما دافعا، سواء كان ذلك الدافع يرتبط بالرحالة فقط. أو يكون دافعا عاما متعلقا بشؤون الأمة كلها.

من خلال تحديدنا مفهوم الرحلة في اللغة والاصطلاح تبين لنا أن المفهومين لا يبتعدان كثيرا. فهما يشتركان في معنى واحد وهو الحركة. وهذه الحركة يحقق منها الإنسان فوائد عدة. فالشخص الذي يقوم بالرحلات ليس هو نفسه الشخص الذي يبقى في مكانه ولا يتحرك. ولقد أشار إلى ذلك المسعودي بقوله:«ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطذع الأقطار، ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه، وإنارة كل نفيسمن مكمنه »[6].

وتبقى الرحلة أعموأشمل من السفر. لأن في السفر تقطع مسافات معينة. أما الرحلة فتكون انتقال من مكان إلى آخر تقطع فيه مسافات كبيرة. وبعبارة أخرى الرحلة«تعني الانتقال من مكان إلى مكان

---

[4]. أبي حامد أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين،ج2، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، 1986،ص273.

[5]. بطرس البستاني،دائرة المعارف،مج8، مطبعة المعارف، د ط، بيروت،1884،ص567.

[6]. المسعودي أبو حسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تقديم محمد السويدي، موقع للنشر، د ط، الجزائر، 1989،ص3.

آخر لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا، أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر، وجمعه: أسفار »[7].

2 – دوافع الرحلة وأنواعها:

1- دواعي الرحلة:

الرحلة سلوك إنساني عرفه منذ أن دأب على الأرض متحديا كل الصعوبات، ومجاوزا كل الوقائع، وهناك نماذج عدة شاهدة على ذلك.

وإذا حاولنا الاطلاع على دوافع الرحلة نجدها كثيرة ومتنوعة، فلكل رحالة دافع حفزه للقيام برحلته، والذي يختلف عن دافع رحالة آخر . ويمكننا أن نحدد دوافع الرحلة في النقاط التالية:

1- 1- الضرورة:

تعد الضرورة واحدة من الدوافع الحتمية التي تدفع الرحالة إلى القيام بهذا النشاط.

خاصة إذا تعرض«لعارض يدفعه لهجر وطنه فيغادر، بحثا عن الكلأ والماء، وهربا من مصيبة كظلم حاكم أوأمير، أو يأسا من المجتمع، وما قد حل به من حروب ونزعات محلية، وظروف إجتماعية قاسية، وويلات ونكبات»[8] فكانت الرحلة إحدى السبل الضرورية التي يسلكها الإنسان إنقاذا لنفسه ونجاة من المكائد.

ومن الرحالين الذين دفعتهم الضرورةإلى الارتحال"ابن العربي". هذا الرحالة الذي عرف برحلته الضائعة"ترتيب الرحلة". لا أن كتابه "قانون التأويل" قد صور لنا رحلته. ويذكر لنا دوافع رحلته في مواضع متفرقة نذكر قوله«فدعت الضرورة إلى الرحلة فخرجنا والأعداء يشتمون بنا» إلى غير ذلك من العبارات الدالة على أن الرحلة كانت أحيانا ضرورة حتمية للنجاة من ويلات الأعداء ومكائدهم.

---

[7]. عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام: أنواعها وأدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 1992،ص5.

[8]. نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلة الأندلسية والمغربية، حتى نهاية القرن التاسع عشر الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع،ط1، عمان،2008م، ص21.

1-2- الدافع العلمي:

منذ العهود المبكرة ارتحل المغاربة إلى المشرقلأهداف تعلمية، فكان طالب العلم في المغرب يتم تعلمه في بلاده، ثم يسافر ليتم تعليمه، ويجالس العلماء فيسعى بذلك إلى الأخذ منهم، يقول ابن خلدون:". . . الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشر الرجال. . ."[9].

1-3- الدافع الديني:

وكما هو ظاهر في اسمها فإن السبب فيها هو ديني خالص، منها الرحلة للحج، وقصد البقاع المقدسة، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن قبيل ذلك أيضا رحلات الرسل لتبليغ الدعوة الإسلامية، ورحلة الإسراء والمعراج التي قام بها الرسول الكريم، ورحلات الوفود لإعتناق الإسلام، ورحلات الصحابة لتعليم قواعد الإسلام. . .[10] وغيرها من الرحلات التي كان الهدف الأساسي منها مرتبط بالعقيدة والدين، كرحلة الحجاز لإبراهيم عبد القادر المازني.

1-4- الدافع السياسي:

وتسمى كذلك رحلة السفارة. وهي رحلة رسمية يقوم بها الرحالة بطلب من الحاكم لقضاء حاجة قد تتعلق بشأن البلاد، كما تخص الحاكم نفسه. بل وإن هذا النوع من الرحلات قد يكون بهدف التجسس والاستطلاع كرحلة سلام الترجمان عام 841/227م والتي كانت بتكليف من الخليفة الواثق بالله، قصد معرفة حقيقة سد الصين الكبير الذي يقال أن الاسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج ومأجوج[11]. فالرحلة الإدارية فرضتها ظروف البلاد. إذ«اقتضت ضرورة الحكم والإدارة، وتقدير الثروات وحجم الضرائب أن يكلف الحكام بعض الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجمع البيانات والحقائق ، وتقديم

---

[9]. ابن خلدون،المقدمة،ص541.

[10] . ينظر عواطف محمد يوسف نواب، الرلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، سنة 1417هـ-1996 م ، ص 42-44.

[11]. ينظر: شوقي ضيف،الرحلات، دار المعارف،ط4،القاهرة،دت،ص9.

التقارير. وسواء أطلق على النشاط صفة (الجغرافية الإدارية)، أو كتابة(تواريخ الأقاليم)، فقد لعب الرحلات دورا هاما في أدائه »[12].

وإذا كان هذا النوع من الرحلات مرتبطا بتنفيذ طلب الحاكم إلا أنها تكسب الرحالة معلومات هائلة. ومن السفارات المثمرة ثقافيا« إرسال البيروني إلى بلاد الهند من قبل محمود الغزنوي، وقد أثمرت عن معرفة شاملة بأحوال الهند الثقافية والبشرية والدينية كما ظهرت في كتابه"تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقلا أو مرذولة"»[13]. وإلى جانب البيروني نذكر رحالة آخرين كابن بطوطة وابن خلدون، . . . كما أن هناك من الرحلات ما كانت ذات دافع ديني أوعلمي. . . ولكن الظروف جعلت منها رحلة رسمية. ومن هذه الرحلات نذكر رحلة ابن بطوطة، رحلة ابن خلدون، . . . . . فإبن بطوطة مثلا معروف أن رحلته كانت رحلة دينية، لغرض أداء مناسك الحج ولكن رغبته في السفر جعلته يواصل الرحلة بعد فريضة الحج، ليختاره سلطان الهند سفيرا له في الصين:«بعث إلى السلطان خيلا مسرجة وجواري وغلمانا وثيابا ونفقة، فلبست ثيابه وقصيدته(. . .) ولما وصل إلى السلطان زاد في إكرامي على ماكنت أعهده، وقال لي:إنما بعثت إليك لتتوجه عني رسولا إلى ملك الصين، فإني أعلم حبك للأسفار والجولان. فجهزني بما أحتاج له، . . . . »[14]. فقد كانت رحلته ذات دافع ديني في الوهلة الأولى لتشمل بعد ذلك عدة جوانب: علمية، إدارية.

1-5- الدوافع السياحية:

وهي كثيرة وغالبة على غيرها من الدوافع الخاصة في العصر الحديث، كحب التنقل وتغير الأجواء، والشوق للمغامرة والمشاهدة والتأمل في جمال الطبيعة وغرائب الخلق، والتعرف على المسالك والطبائع والآثار والكهوف والعمران. [15]

1-6- الدوافع الإقتصادية:

---

[12]. حسين محمد فهيم،أدب الرحلات،ص91.

[13]. عبد الله إبراهيم ،المركزية الإسلامية: صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، المركزالثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء(المغرب،بيروت)،2001،ص 91.

[14]. ابن بطوطة محمد بن عبد الله،رحلة ابن بطوطة،ج1،ص202-203.

[15]. ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي،ص 22.

للتجارة والولوج للأسواق الجديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى، وتندر في بلد المسافر، وقد تكون هربا من الغلاء، وسعيا وراء الرخص، واليسر، والوفرة، أو للعمل[16]، أو لجمع التبرعات والمعونات كرحلات الجمعية الخيرية.

1-7- الدوافع الصحية:

الإنتقال من العلاج أو الراحة والإستجمام كالارتحال إلى المناطق الريفية وغيرها.

د- أنواع الرحلة:

1- الرحلات الحقيقية:

1-1: الرحلة العلمية:

كانت الرحلة أحد السبل التي لجأ إليها العلماء بغية طلب العلم وملاقاة العلماء والفقهاء، ومحاورتهم والإستفادة منهم، بل أن هناك«من العلوم الإسلامية ما يرتبط بالرحلة ارتباطا عضويا لا انفصام له مثل الجغرافيا، ولذلك نجد الجغرافيين من الرحالة المسلمين»[17]، وكل هذا راجع إلى إدركهم لدور العلم في التقدم والتحرر من عبودية الجهل.

وأشهر رحلة علمية وردت في القرآن الكريم، رحلة موسى مع الخضر- عليهما السلام- ليستفيد منه، يقول تعالى﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا(60) فَلَمَّا بَلَغَ مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَ حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا(61) فَلَمَّا جَاوَزَ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ

[16]. ينظر فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي،ص 20.

[17]. حسين نصار: أدب الرحلة، دار نوبال للطباعة+ الشركة المصرية العالمية والنشر، القاهرة، ط1991،1،ص32.

سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا(62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَه أَوْ اتَّخَذَ سَبِيلَه فِي الْبَحْرِ عَجَبًا(63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا(64) فَوَجَدَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْما (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(66)﴾[18].

كما ورد في السنة النبوية الشريفة أحاديث تؤكد على الرحلة كطلب للعلم، وسعيا وراء العلماء، للنهل من علومهم. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:«من سلك طريقا يلتمس فيه علما إلا سهل الله به طريقا إلى الجنة»[19] فالرّحالة غالبا ما يتحمّل مشقة السّفر والرّحلة رغبة في نيل الأجر والثواب.

وكان الرحالة يقطع المسافات الطويلة، لأجل معرفة معلومة أو محاورة عالم، لأن« الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد في كمال التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة»[20]، فالرّحلة تبقى غايتها طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال.

وإذاكان طلب العلم قد شغل اهتمام العديد من الرّحالين، إلاّ أنّه«ابتداء من القرن الثالث عشر بدأ طابع الرّحلة في طلب العلم يطغى على نمط الرّحلة، ومالبث أن اتسع نطاق انتشاره على مرّ القرون حتى بلغ الأوجّ بوجه خاص في العهد التركي»[21]، أين اتّسعت الدولة العثمانية وزاد الاهتمام بالعلم والتشجيع على طلبه.

كما يدخل في ايطار الرحلة العلمية«حضور الندوات والملتقيات العلمية والأدبية في مختلف المناسبات، ويختص العصر الحديث بهذا النوع من الرّحلات، مثّلها جزائريون من أمثال البشير

---

[18]. القرآن الكريم: سورة الكهف، الآيات(66-59).

[19]. مسلم بن الحجّاج: صحيح مسلم، متون الحديث الشريف، دار الكتب العلمية،ج17،بيروت،1992،ص19.

[20]. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، ج1،تح:درويش جويدي، المكتبة العصرية،بيروت، ط2، 2000،ص 539- 540.

[21]. كراتشوفسكيإغناطيوسيوليانوفيتش:تاريخ الأدب الجغرافي، ص401.

الإبراهيمي وعبد الحميد بن باديس، أبو القاسم سعد الله، محمد ناصر»[22]، وغيرهم كثير، سواء قبل الاستقلال أو بعده.

1-2- الرحلات الدينية:

عرف هذا النوع من الرّحلات شيوعا وانتشارا، لتوفره على أسمى أركان الإسلام وهو الحجُّ، والذي يُعدُّ أهمّ باعث يدفع المسلمين للقيام بالرّحلات. لقوله تعالى:« وَأَذِّن في النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»[23].

فالدّعوة إلى حجّ بيت الله الحرام قديمة منذ أيام خليل الله إبراهيم- عليه السّلام- قال تعالى:﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾[24].

لقد كانت الرّحلة لأداء الركن الخامس"الحجّ" وزيارة البقاع المقدس تتطلب المرور بالبلاد الشرقية، كما أنّها كانت لغرض الجهاد والرباط في الثغور؛ فطريق الرحلة الحجّية مليء بالأسماء التي دونت في صفحاتها(مزارات، مقابر، أولياء) ذلك لاعتقاد بعض الرّحالة« أنّ النظر إلى وجوه الأولياء والصلحاء عبادة، وفيها أيضا حركة بالرغبة للاقتداء بهم والتخلّق بأخلاقهم وآدابهم»[25]، كما يعد الحجّ ينبوعا فجَّر مواهب الرّحالين وحرّك أقلامهم، لوصف« وسرد كثير من القصص والأخبار التي سمعوها في طريقهم، ووصف المشاهدات التي رأوها في سبيلهم؛ ودون بعض الحجّاج واسعي الثقافة مشاهداتهم بعد عودتهم»[26]، ليُنْتفعَ بتجاربهم سائر المسلمين، ولتساعدهم على أداء مناسكهم، ومن ثم زرت كتبهم بأحوال سكان البلاد، وطبيعة مزاجهم، وأسس اقتصادهم، وينابيع ثروتهم ورخائهم.

---

[22]. سميرة أنساعد: الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطوّر والبنية،ص26.

[23]. القرآن الكريم: سورة الحجّ، الآية 27.

[24]. القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية 97.

[25]. الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين،آدابالسّفر،دارابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط1،2005،ص 716.

[26]. ابراهيم أحمد العدوي:ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، مصر، د ط، 1954،ص 8.

ومن أشهر الرّحلات الدينية التي اهتمت بنقل أخبار الحجّ، رحلة ابن جُبير الشهيرة" تذكر الأخبار عن الاتفاقات والأسفار"، ورحلة ابن بطوطة الموسومة ب: " تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، ورحلة العبدري وغيرهم ممن ساهم في وصف الأماكن المقدسة، ونقل أخبار البلدن الإسلامية.

1-3- الرحلات التجارية:

كانت التجارة منذ القديم، أمرا يقتضي القيام بالرحلة والسفر البعيد من أجل تأمين سبل الحياة والكسب، ثم إنّ الموقع الاستراتيجي للبلاد العربية وكونها مركزا لالتقاء الطرق التجارية بين القارات، شجع العرب على ممارسة الترحال من خلال ماسمي برحلتي الشتاء والصيف. فقد قام الجزائريون من أجل التجارة، وهم أولئك الرّحالة الذين جابو البحار والمحيطات، وسافرو عبر المغاور والشعاب ينقلون بضائعهم من بلد إلى آخر، وقد يقضون في متاجرتهم هذه سنين عدة، وعندما ينتقلون إلى أوطانهم عائدين، يأخذون في سرد الحكايات والأحاديث في أسلوب شيق عما صادفوه أوشاهدوه، ويحكون عن البحر وأهواله وعن أسماكه ومحاره، وعن جزائره وقاطينها وطباعهم وعادتهم.

1-4- الرحلة الإستطلاعية(المغامراتية):

يكون هذا النوع من الرحلة بدافع المغامرة، وحب الاستطلاع والرغبة في دراسة أحوال الشعوب ومعرفتها، فيدون أثناء رحلته ما يعجبه أو ما يلفت انتباهه، أو ما يخالف ماجر العادة عليه في بلاده، ولعل أبرز الرحالة المغاربة في هذا الصنف، الرحالة الشهير"ابن بطوطة"، صاحب الرحلة المسماة " تحفة الانظار"، ولقد كان من الرحالة أدباء وعلماء ومحبي ترحال، "وآخرون استهوتهم المغامرة، ودفعتهم المخاطرة عن كشف النقاب عن المجهول من الأرض والناس"[27].

1-5- الرحلة الرسمية:

يضم هذا النوع من الرحلات كلا من الرحلة التكليفية، والإدارية والسفارية، وهي خاصة بدوافع عدة نذكر منها: تفقد أمر الرعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن بعيدة أو مجهولة والاتيان بالأخبار سواء من ناحية التجسس أو الاستطلاع كما رحل سلام الترجمان بأمر الخليفة

[27]. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص11.

الواثق(227هـ/841م) للبحث عن سد الصين الكبير، الذي يقال إن الاسكندر بناه بين العالم القديم وديار "يأجوج ومأجوج"[28].

1-6- الرحلة الفهرسية:

وهي الرحلة التي يقتصر فيها مؤلفها على ذكر الرجال الذين لقيهم والشيوخ الذين قرأ عليهم[29]، وكذلك الكتب التي درسها، فالرحلة الفهرسية من أهم المصادر في التاريخ العربي.

2- رحلات خيالية:

هي على خلاف الرحلة الفعلية(الواقعية)، كما أنها تتأسس على الواقع المعيشي أو التجربة الواقعية، بل يعتمد فيها الكاتب عالما متخيلا، يتطلب التفكير والتأمل فهو بذلك يحاول إيجاد الأفضل في عالم غير عالمه، " ففي الرحلة الخيالية يطلق الكاتب عنان تفكيره لينقله بعيدا عن واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى، وأزمنة متباعدة. . . "[30].

3- أدب الرحلة المفهوم والنشأة والمميزات:

أ - مفهوم أدب الرحلات:

أدب ارحلات بكسر الرّاء وتسكين الحاء، من المصطلحات التي يصعب حصرها وقوننتها، وذلك لدمجها بين متشعبين" الأدب الرّحلة". وعلى الرّغم من هذا فإنّ مشكلة الفصل في تعريف أدقّ لهذا الجنس لاتزال قائمة لاختلاف الباحثين والدّارسين في تسمية هذا اللون، ولعل أنسب التعاريف لأدب الرّحلة ماأورده مجدي وهبة في معجمه « مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف مايراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها

---

[28]. شوقي ضيف، الرحلات، ص09.

[29]. القاضي عياض، الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار التراث،1970، ص70.

[30]. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات،ص150.

أو يسرد مراحل رحلته ، أويجمع بين كلّهذا في آن واحد»؛[31]فالرّحلة إذا خطاب تنشئه ذات الرّحالة، وتُحكى فيه أحداث سفر عاشتها لنصف الأماكن المزارة والأشخاص الذين لقيتهم.

وقد عرف إنجيل بطرس أدب الرحلات بأنه«مايمكن أن يوصف بأدب الرّحلة الواقعية، وهي الرّحلة التي يقوم بها رحّالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون له وصفا له يسجل فيه مشاهداته وانطباعته بدرجة من الدقة والصّدق، وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير»[32].

كما عرفه الدّكتور سيد حامد النّساج بأنّه« ذلك النّثر الذي يتّخذ من الرّحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز، وفي لغة خاصة ومن خلال تصوّر بناء فنّي له ملامحه وسماته المستقلة»[33].

كما اشترط إنجيل بطرس في تحديده لمفهوم الرّحلات« أن تتحقّق صفتان هامتان لابدّ من توافرهما في أدب الرّحلات وهما:

- أن يكون من يكتب عن الرّحلات رحّالا بطبعه محبا للرّحلات.
- أن يكتب بأسلوب الذي يجعل وصفه يعكس روح الرّحلة، والرغبة الشديدة التي تتملّكه للقيام بها»[34].

وهذا النوع من النثر لم يأخذ في البداية اسم "رحلة" وعناوين بعض الكتب دليل على ذلك مثل:(مروج الذهب، تحقيق ما للهند من مقولة أم مقبولة في العقل أو مرذولة. . .).

---

[31]. عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل – دراسات في السرد العربي– دار توبقال للنشر،الدّار البيضاء، ط2، 1997،ص 73.

[32]. إنجيل بطرس: الرّحلة في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، العدد 7، مصر، يوليو، 1975 م، ص 52.

[33]. سيد حامد النساج: أدب الرّحلات في حياتنا اليومية، مجلّة العربي، الكويت،يناير 1987، ص 133.

[34]. سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النّشأة والتّطور والبنية، دار الهدى ،الجزائر، 2009،ص32.

أمّا لفظة رحلة فأول من أطلقها على مؤلفه فهو بن جُبير، وقد ورد ذلك في مقدمة "الرّحلة المغربية" للعبدري، يقول المحقّق:« وكلمة رحلة ليست من ابتكار العبدري فأول من سمى هذا النّوع من الكتابة رحلة هو أحمد بن جُبير المتوفّي سنة 214 هجرية»[35]. فهو إذا مؤسس فن الرّحلة.

فمن خلال هذه التعريفات المتعددة الجوانب والواردة في مقدمات الكتب أو في المقالات، يمكننا القول بأنّ أدب الرّحلة فنّ نثري يقوم على رحلة قام شخص في الواقع، فينقل للقارئ مشاهداته وانطباعته التي تركتها الرّحلة في نفسه.

أو بعبارة أخرى يقوم أدب الرّحلة « على عدة أسس أهمّها أنّه:

- يقوم على رحلة – أو رحلات– واقعية في زمن ومكان محدّدين.
- وأنّ الذي يقوم به رحّال تمكن حبّ الرّحلة منه، يصف انطباعته مكن مشاهداته في هذه الرّحلة.
- وأنّ الوصف يجب أن يوازي بين شخص الرّحال من ناحية، والرّحلة– كموضوع– من ناحية أخرى.
- ويستخدم النّثر المعبرعن ذات الرّحال، والحامل لخصائصه دون تكلف أو إسراف مع المحافظة على بنية تكفل تماسك العمل ووحدته. وبعبارة أخرى أن يكون ذا معالم واضحة تحقق الترابط بين أجزاء العمل، من لدن البداية وحتى النهاية.

[35]. محمد العبدريالبلنسي: الرّحلة المغربية، تح: أحمد بن جدّو، مطبعة البعث، نشر كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة، ط1،ص–ج–(المقدمة).

- هو فن قائتم بذاته، له أصوله وقواعده الفضفاضة، التي تتيح له قدرا كبيرا من المرونة والقدرة على التّطور والتّلون، حسب مقتضى كل فرد، أو عصر، أو بيئة»[36].

وبالإجمال فإنّ أدب الرّحلة فنّ من الفنون النثرية، الذي يمتاز بـ « تشكيل لنص ذاتي/ شخصي بخصوص الأنا والآخر. . . يتبين مكتفيا في شكل معبر للتعبير عن رؤية معين انطلاقا من خطاب مفصح عنه في البداية، أو مضمر في تضاعيف السرد والوصف والتعليقات[37]».

3-2- الجغرافيا الوصفية:

وتعرف كذلك بـ "علم المسالك والممالك" وهي تصنف ضمن العلوم الدقيقة. والجغرافيا الوصفية« تقف في الأغلب على النقيض من أدب الرحلات، ذلك أنها تهدف إلى الوصف الجغرافي العلمي أساسا، مستخدمة منهج العلم وأسلوبه، دون أن يكون لهذا الأسلوب خصائص أدبية. . . كل التركيز على توصيل المعلومات توصيلا مباشرا لا تراعي فيه النواحي الجمالية أو الذاتية»[38]. فالجغرافيا الوصفية إذن تسعى لتقديم المعلومات الجغرافية تقديما علميا، وبطريقة موضوعية، تختفي فيها الجوانب الجمالية(الأدبية)، كما تختفي فيها العناصر الذاتية« ويرتبط بها ارتباطا وثيقا قصص الرحلات»[39].

أما البدايات الأولى للجغرافيا الوصفية فكانت في نهاية القرن الثامن ميلادي(2هـ) وبداية القرن الثالث(3هـ) « على أيدي اللغويين. ولكن نافسهم في هذا المجال المؤرخون

---

[36]. ناصر عبد الرّزاق الموافى: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص 40-41.

[37]. شعيب حليفي، الرّحلة في الأدب العربي، التجنيس... آليات الكتابة.. خطاب المتخيل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1،ص45.

[38]. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع،ص 36.

[39]. كراتشو فسكي، اغناطيوس يوليانوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي،ص 20.

مثل هشام الكلبي (204 هـ: 811). وابن قتيبة(272 هـ: 119 م). كذلك اهتم المؤرخون الجغرافيون في المغرب العربي بكتابة الجغرافية الوصفية وكان في مقدمتهم الرازي (ق 4 هـ: 10 م) الذي وضع قواعد علمي التاريخ والجغرافية الإسلامية دون أن يكونوا هم أنفسهم جغرافيين. . . فالجاحظ أعظم الأدباء والمثقفين على زمانه ضمن كتبه كثيرا من المعارف الجغرافية بل إنه أصدر كتابا في الجغرافية الإقليمية أسماء" كتاب البلدان"»[40] دون أن يقوم برحلة.

3-3- الأدب الجغرافي:

لو حاولنا البحث في التراث العربي قبل القرن الثالث للهجرة عن مصنفات جغرافية فإننا لا نجد ذلك. لأن أسس الجغرافيا العربية كان من خال تعرف العرب على مصنفات بطليموس، ليشرع بعد ذلك العرب في التّأليف الجغرافي بوصف دولتهم الممتدة « من الهند وحدود الصين إلى اسبانيا وجبال البرانس، ومن القوقاز وآسيا الصغرى إلى السودان ومجاهل إفريقية»[41]. وكان ذلك خلال القرن الرابع هجري (10 م). هذا القرن الذي بلغ فيه« الأدب الجغرافي أوجه في مجال تطورهالخلاق كحركة مستقلة قائمة بذاتها. وهويذخر بمصنفات هامة في محيط الجغرافيا الإقليمية، غير أن الإنتاج الأدبي فيه لم يقف عند هذا الحد فقد تم في هذا القرن أيضا تشكيل ما يسمى" بالمدرسة الكلاسيكية " للجغرافيا العربية(. . .) وقد بلغ عدد الرّحالة في هذا القرن حدّا كبيرا»[42] بفعل الفتوحات الإسلامية التي أدت إلى اتساع رقعة الإسلام. الأمر الذي دفعه العرب إلى معرفة وضبط مسالكهم وممالكهم. وهذه المهمة التي شغلت اهتمام كل الطبقات- لا المثقفين فقط- إنها موجه

---

[40]. عبد الفتاح محمد وهيبة، مكانة الجغرافيا من الثقافة الإسلامية، طبع في دار الأحد (البحيري إخوان)،د ط، بيروت، 1979،ص8-9.

[41]. شوقي ضيف، الرّحلات،ص 11.

[42]. كراتشوفسكي، اغناطيوس يوليانوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ص 190.

للجمهور ككل« لأنها كانت تحتوي على مايفيد الناس في ترحالهم (. . .) وقد يكون هذا من الأسباب التي جعلت الطابع القصصي على هذه الكتب سهلا مبسطا وشعبيا، فكثر انتشاره وتداوله بين الناس وغلب الطابع القصصي على هذه الكتب بالرغم من جدية بعضها وعلميته»[43].

ومن هنا يمكننا القول أن الأدب الجغرافي يتبع« المنهج العلمي، ولكن بأسلوب أدبي، بحيث لايطغى أحدهما على الآخر وبحيث تظل شخصية الرّحال بين آن وآخر، لتقييم نوع من التوازن بين الموضوع والذات وبحيث يتعلم القارئ ويستمع في آن. إنها ازدواجية تهدف إلى التقييم غير المباشر للمعلومة، أو لتحقيق حدتها وجفافها، بحيث لايمل القارئ»[44].

وبعد أن حددنا مفهوم كل مصطلح، وأهم الخصائص التي تميزه، فإنه بإمكاننا أن ندرك نوع النص إذا ما كان يصنف في الجغرافيا الوصفية، أو في أدب الرّحلة، أو ضمن الأدب الجغرافي ، فـ« إذا اختفت العناصر الأدبية والذاتية– أو نذرت– صنف النص على أنه جغرافيا وصفية. وإذا حاول الرّحال أن يوازن بين الموضوع والذات فإنّ عمله يصنف على أنه أدب جغرافي. أما إذا طغت العناصر الأدبية الذاتية فإن عمله يصنف على أنه " أدب رحلة" يتبع خط سير الرّحلة»[45].

ويعترف العديد من الدارسين بأن المصطلحين الأخيرين لا يزال الغموض يكتفيهما، كونهما يشتركان في حل النقاط. ولعل هذا ما جعل كراتشوفسكيلايفرق في كتابه"تاريخ الأدب الجغرافي" بين الأدب الجغرافي وأدب الرّحلة. إذ يضم مؤلفه« المصنفات العربية في

---

[43]. شوقي ضيف، الرّحلات، ص 12.

[44]. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع،ص 37.

[45]. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع،ص 35.

الجغرافيا والرّحلة معا دون تمييز. معتبرا كلا النوعين في جوهره جنسا تراثيا واحدا»[46]ولكن هذا التداخل والتشابك لايعني انعدام نقاط فاصلة بين مصنف جغرافي ومصنف في أدب الرحلة

يعد« التحدث عن الذات وتعرض الكاتب لشخصه وأفكاره وعواطفه وأحاسيسه هو الفيص بين كتب الجغرافيا والرّحلة»[47]

إذن الرّحالة ينقل ماشاهد وعاينه دون أن يلتزم بإثبات المعلومات. فأحيانا لايوردها في حين الجغرافي يبحث عن صحة المعلومات، فالأخير« يسأل ويستقسي ويحقق ويحاول أن يشمل كل جزءمن المنطقة التي يعرض لدرسها، أما الرّحالة فينقل مايشاهد، وتكون صورته جزئية، ولكنها ثمينة وموحية. وكثيرا ما يزيد من ترائها إضافة شيئ من التاريخ أو من السياسة أو من عادات الشعوب تعرض أسلوب قصصي بديع»[48].

وعلى هذا يمكننا القول أن العلاقة بين الرّحلة والجغرافيا علاقة وثيقة ومتينة. ولعل هذا ما جعل صلاح الدين الشامي يطلق على كتابه عنوان"الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية. بل و« تعايشت الجغرافيا كعلم مع الرّحلة كأدب»[49]".

4- أدبية الرّحلة من منظور بلاغي:

لقد شاع في أوساط النقاد، وبالأحرى عند دارسي أدب الرّحلات على وجه الخصوص، أن سمة الأدبية مكمنها في جملة من العناصر الفنية المنعقدة في الخصائص

---

[46]. شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة الرّحلة/ نسيج الوقع والخيال، أطروحة ماجستير، اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأمريكية في بيروت، 2003،ص 57.

[47]. محمد بن عثمان المكناسي، الإكيسير في فكاك الأسير، ص أ-ج (المقدمة).

[48]. عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق: من الأدب الجغرافي في التراث العربي، منشأة المعارف، د ط، الإسكندرية، 1995، ص 9.

[49]. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرّحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، ص 92.

الأسلوبية، التي تنطوي تحت لواء المكونات البلاغية بمنطلقات شخصية ذاتية نابعة من شعور متدفق، وحس واع، وهي تشكل الآليات " التي يصفون فيها البلدان والأقوام، والتي يذكرون فيها أيضا أحداث تجوالهم، ودوافع رحلاتهم ، وما قد يصاحب ذلك من بلورة لانطباعات شخصية، أو إصدار أحكام تقويمية لما شاهدوه أو سمعوه"[50] يميز ذلك حافز الرغبة والفضول الذي يدفع القارئ إلى تتبع حكاية الرّحلة التي تقدم مادتها بأفق انتظار شديد التّطلع"نظرا لارتقاء الوصف في كثير من أعمال الرّحالة وبلوغه حدا كبيا من الدقة، علاوة على عملية الأسلوب القصصي، السلس، والمشوق، أدخلت أدبيات الرحلات متعة ذهنية كبرى"[51] فهذه جملة عناصر تشف عن بعض الحدود القائم عليها الجانب الفني في الكتابات الرّحلية، انطلاقا من حس بلاغي واع تجسيدا لانفعالات، وهو ما يتصوره كثير من النّقاد، مثلما يؤكده عبد الله الركيبي بقوله:" فإذا عني الرّحالة بتصوير شعوره بوصف ما شاهد، أو حاول استخلاص فكرة معينة؛ فإن رحلته حينئذ تدخل في مجال الأدب لأنه ينفعل، ويتأثر، ويصور لنا هذا من خلال عمله الأدبي، ولكنه حين يصف الأشياء بنوع من التجرّد فهنا يصبح مؤرخا لا أدبيا، لأن حظ الخيال في رحلته يكون قليلا"[52] ومن ثم تبرز الآليات الإجرائية الفيصلية بين الأدبية وغير الأدبية في العمل الرحلي، وهي في جملتها عناصر بلاغية تنحرف بالنص المجرد إلى تحريكه بلاغيا، بشتى أنواعها البيانية و البديعية، وتغذيته بعناصر العمل الفني، من تشويق وسلاسة لغة وبساطتها، وقوة وصف، وحسن الصورة. يراعي فيها الرّحالة بوعي بالغ الرابطة بين السارد والمسرود له، من خلال استدراجه إلى عالمه المبلغ عنه، وهو يحمل تفاصيل هذا العالم الجديد بحرارة شديدة، يريد أن يبلغها برغبة كبيرة. وهذا ما يجعل من أسلوب الرّحلة سهلا بسيطا في سطحه، ذلك

---

[50]. حسين محمد فهيم، أدب الرّحلات، سلسلة علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 138، يونيو 1989،ص 17.

[51]. المرجع نفسه، ص 17.

[52]. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1978، ص 50.

لأن"صلة وثيقة تربط بين أدب الرّحلات والجمهور"[53] ولهذا يريد الكاتب(الرحّالة) من الجمهور أن يتفاعل معه، ويعيش وإياه الأحداث كما عايشها هو بنفسه، في محاولة بالغة إلى تقريب الصورة له قدر المستطاع. من أجل ذلك يقوم الرحّالة أثناء شروعه في تدوين رحلته، بإضافة شحنات عاطفية على الموضوع لاحتواء قارئه لتتطابق عاطفة الرحّالة(الكاتب) بالجمهور (القارئ).

5- نشأة أدب الرحلة:

شهدت الرحلة عبر تاريخها الطويل عدة تطورات وتغيرات على مستوى بنيتها الشكلية والبنيوية، بدءً بالعصور البادئة وصولا إلى العصور الوسطى فالعصور الحديثة والمعاصرة، فيحفل تاريخنا الإسلامي في القديم والحديث بنماذج مشرفة للعلماء الذين ضربوا المثل الأعلى في الفضل والعلم والجهاد وكثير من هؤلاء مغمورين وقليل من الناس من يعرفهم وسنحاول في هذا المبحث عرض أبرز هؤلاء الأعلام، على الصعيد العربي والجزائري.

5-1- أدب الرحلة في العالم:

غني عن البيان والتذكير بأن فن الرحلة كباقي الفنون الأدبية، بدأ بداية موسوعية مرتبطا بالجغرافيا والتاريخ، ثم صار أدبا قائما بذاته كما هو عليه الآن، فأدب الرحلة موغل في القدم عرفته أمم شتى، مثل الفراعنة والفينيقيين والإغريق والرومان.

فالتاريخ يحدثنا« أن المصريين كانت لهم منذ حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد رحلات متعددة بالبر والبحر غلى بلاد بُنتْ(ساحل الصومال)، وأن الملكة"حتشبسوت" جهزت حملة إلى هذه البلاد عام 1495ق م، سيّرت فيها خمس سفن كبيرة في البحر

[53]. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص14- ص 15.

الأحمر، وأن النقوش البارزة في (الدير البحري) بمصر تخبرنا كيف سيّرت هذه السفن، وكيف استقبلت (بُنتْ) المصريين وكيف عادوا»[54] فبقية هذه الرسوم، والنقوش شاهدة على تلك السفرات والمغامرات التي شهدتها تلك الفترة الزمنية.

كما كان الشعب الفينيقي« قائما على أمر الملاحة في البحار، فقام هذا الشعب برحلاته البحرية الخارقة التي استحوذ فيها على مرافئ بحر الروم، وشواطئ أوربا الغربية، وخاض عباب المحيط الأطلسي، واكتشف بعض سواحل إفريقية الغربية، ووصل إلى أمريكة. . . ، وقد سجلت رحلاته هذه في مصنفين اثنين هما: رحلة جنون "القرطاجي" حول القارة الإفريقية، ورحلة"عملقون" إلى سواحل أوروبة الغربية»[55]، غير أن المصنّفان لم يصلانا كاملين، بل نتفا منهما فقط، لينتقل أدب الرّحلات من كونه وعاءً لملأ المعلومات المتناثرة إلى معرفة منظمة.

ومن بعد الفينيقين جاء الإغريق، أين نجد«"هيرودوت" الذي استقى من رِحلاته الطويلة العريضة في بلاد الإغريق مسحا وصفيا شاملا لها، ومن ثمّ استطاع تقديم عرضه العظيم للتاريخ في عام 425 ق. م، ولم يسع إلى الوصف التفصيلي لرحلاته، بل اكتفى بالتركيز على النتائج التي أنشأت علم الجغرافيا»[56]، وبعمله هذا أصبح أبًا للتاريخ و أدب الرّحلات أيضا.

ثمّ خلف اليونان الرومان. . فغذّوا السير في الآفاق يضربون في أرجاء الإمبراطورية الواسعة حتى وصلوا إلى الجزائر كناري، وطافوا بدولتهم في أفريقيا وآسيا، وبلغوا الهند والشرق الأقصى. . . ، ومن أشهر مؤلفاتهم"التعليقات" ليوليوس قيصر، و"جرمانيا"

---

[54]. أحمد أبو سعد، أدب الرحلات،وتطوره في الأدب العربي، ط1، منشورات دار الشرق الجديدة، بيروت، ديسمبر 1961، ص 07.

[55]. المصدر نفسه،ص08.

[56]. نبيل راغب: فنون الأدب العالمي، ص24.

لتاسيت، و"العشريات" لطيطشليوش. وكلها كتب جمعت فحواها بين القيمة الجغرافية والتاريخية معا، وكذا الأمانة في الوصف، والتفنن في السرد.

ليأتي فيما بعد ذلك العصر الوسيط أين اشتهر"ماركو بولو" (1254-1324)، برحلاته صوب الشرق حتى بلاد الصين، ولما عاد في جعبته الكثير من الروايات والأحداث، عن عالم جديد يختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي عاش فيه في أوروبا، كصحراء جوبي، صنفها في كتابه المليون الذي ألّفه سنة 1299[57]، الأمر الذي قلص الهوّة بين الغرب والشرق، خصوصا أنّ الطريق أصبح معروفا براً أم بحراً.

أما القرن الخامس عشر الميلادي« اكتشف "هنري" المعروف بالملّاح أقساما مجهولة من الشاطئ الإفريقي سنة 1441 م، و وصل"بارتولوميودياز" سنة 1486 م إلى(رأس الأعاصير) في الطرف الجنوبي من القارة الإفريقية»[58]، فكانت الرحلات الاستكشافية نحو الجنوب، التي أثمرت بالتعرف على القطب الجنوبي.

وبعده« " فاسكو داجاما" (1460-1524) م، "كريستوف كولومبوس" سنة(1441-1506)، و"فرديناند ماجلان" (1480-1521) الذين أشتهروا كرواد لرحلات بحرية، حيث اتجه فيها"داجاما" سنة 1497م من الشمال إلى الجنوب، بينما قصد "كولومبوس" 1492، و"ماجلان" سنة 1519 صوب الغرب البعيد، وعبر المحيط الأطلسي مجهول السعة والأبعاد حينذاك»[59]، فانفتح العالم باكتشاف أمريكا، كما عُرفت جزرا كانت مجهولة من قبل، وأجناس بشرية متنوعة.

---

[57]. ينظر محمد حسين فهيم، "الرّحلات اكتشاف للعالم والإنسان"، عالم المعرفة"أدب الرّحلات"، ع138 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب،الكويت، يونيو 1989م، ص21.

[58]. أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، ص10.

[59]. محمد حسين فهيم، عالم المعرفة، ص26.

فاتسع مجال أدب الرحلات، وتعددت أعمال الرحالة، « مرورا بالسجلات الكشفية التي قام بها"آنسون وكوك" في القرن الثامن عشر، ووصولا إلى الأعمال الموسوعية التي قام بها شركاء كثيرون في البعثات العلمية الشهيرة منذ أيام "هامبولت"»[60]، التي برزت تحت تأثير العاطفة والانطباعات الشخصية.

وفي هذه الأثناء ظهرت الرحلة الشاعرية، وهو ما نلحظه عند« "غيته" في رحلته الايطالية عام 1788م ، وعند كتابات شاتوبريان و جورج بورو، وهانريخبارث، سير ريتشارد بيرتون، وفريتوفنانسين، وسفن هيدين»[61]، وغيرهم كثير من الذين وظفوا خصائص الأدب الرومنسي بتوظيفهم للطبيعة، واستعمال الخيال أحيانا، مما دعى إلى بروز صنف آخر للرحلة يتمثل في الرحلة الخيالية كأعمال "رابليه" مثلا.

وهكذا نلاحظ انحناء كفة الميزان نحو الغرب، الذين اندفعوا يسيرون في أرض الله تعالى، داخلها وخارجها فكانت الرحلة نحو القمر سنة 1969، ونحو الكواكب الشمسية لاكتشاف المجرة، وهو يعرف اليوم بالرحلات الفضائية.

5-2- أدب الرحلات عند العرب:

لقد عرب العرب الرّحلة منذ الجاهلية(قبل الإسلام)، نتيجة لطبيعة الحياة البدوية القائمة على التنقل والترحال، وذلك بغرض التجارة والصيد وكذا البحث عن الماء والكلأ خاصة في السنوات العجاف التي دفعتهم إلى هجرة« مضاربهم على أكتاف المدن إلى مواضع المياه الشحيحة، وقد تمتد سنوات الجفاف وتعم سائر الإقليم، وعندئذ تضطر القبائل إلى هجر ديارها إلى أرض بعيدة تختارها دار إقامة إلى حين. ولم تكن حياتهم مع

[60]. نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، ص26.

[61]. نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، ص29.

ذلك مقصورة على الرعي المتنقل فقد اشتغلوا بنقل المتاجر عبر فيافي الجزيرة العربية»[62].

ولقد أشار العديد من الشعراء إلى رحلات قاموا بها ومن هؤلاء الشعراء نذكر قول النابغة الذبياني:

كأني شددت الرحل يوم تشذرت على قارح مما تضمن عاقل[63]

ويقول الأعشى:

كأني ورحلي والفتان ونمرقي على ظهر طاو أصفع الخد أخثما[64]

كما أن المقدمة الطللية لقصيدة زهير والتي تحمل عنوان" أمن أوفى دمنة لم تكلم"[65] تعطي صورة واضحة وحية للرحلة في شعر من الشعراء، لأنها تصف رحلة طويلة في الوديان والجبال والسهول بصورة حية، فبقراءتها يشعر القارئ وكأنه قام بها.

لقد سجلت الرّحلة انتشارا واسعا عند العرب منذ القديم« بلونيها: رحلة الضغائن والرحلة على الناقة(. . .) كانتشار القبائل في تلك الصحراء و انتشار الآل والطلول ومواطن النجعة، فطبيعة المجتمع البدوي القائمة على النقلة والرعي وحماية مواطن الغيث ومايتصل بذلك من حروب تقطع وشائح الدم والحلف والحب جعلت من الجاهلي إنسانا عالقا بالأرض في شؤون حياته جميعا»[66].

إلا أن هذه الرحلات لاتتخذ شكل أدب الرحلة، وإنما كانت أحد العناصر الأساسية في بناء القصيدة الجاهلية (المقدمة الطللية، وصف الرحلة، ثم الموضوع الأساسي وهو

---

[62]. عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق، ص15.

[63]. النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال، دط، مصر، 1911، ص84.

[64]. الاعشى ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، دار صادر، دط،بيروت، 1994، ص187.

[65]. ينظر: زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1979، ص102-105.

[66]. وهيب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 2003، ص19-20.

المدح غالبا). وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة بقوله:« فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام. . . »[67]

وبعد عصر الإسلام، اتخذت الرحلة منحى آخر« في دوافعها التي بدأت تتعدد ومقصدها المتطور جدا، ثم في شكلها المتميز أدبيا وعلميا بصفتها عملا مدونا ذا طابع فكري –علمي بجوانبه التاريخية والجغرافية والاجتماعية والأدبية»[68].

إذن الرحلة بعد الإسلام اتخذت طابعا آخر، إذ« صارت فنا عربيا أصيلا في النثر عربيا أصيلا في النثر العربي بسماته التاريخية والجغرافية و اهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم، وأنماط عيشهم، وبمضمونه الفكري والاجتماعي، وأسلوبه الأدبي المتميز»[69] الذي يمتزج فيه الواقع بالخيال، دون أن ننسى الجانب الانثوغرافي، ليكون بذلك أدب الرحلة« مصدرا لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجمع معين خلال فترة زمنية محددة»[70]. وإذا تتبعنا مسار أدب الرحلة في الأدب العربي نجده قد مر بمرحلتين أساسيتن هما:

5-2-1- المرحلة الأولى:

كانت انطلاقتها منذ القرن الثالث للهجرة مع ابن يعقوب من خلال كتابه: كتاب البلدان. هذا الذي نال عناية الكثير من الدارسين والباحثين« لأمانته العلمية ودقته وابتعاده عن الغرائب والعجائب. قام برحلات كثيرة امتدت شرقا إلى الهند، وبلغت أقصاها غربا

---

[67]. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1 تح: محمد شاكر، دار المعارف، دط، القاهرة، دت، ص75-76.

[68]. عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية: دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، ص7.

[69] . عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر بن عكنون،1995، ص 15.

[70]. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص15.

برحلته إلى بلاد المغارب والأندلس»[71]. و إلى جانب اليعقوبي، شهد هذا القرن رحالين آخرين نذكر منهم: محمد بن موسى بن لمنجم، سلام الترجمان، سليمان التاجر الذي يعد رائد أدب الرحلات البحرية، ابن وهب القرشي، ابن خردانبه، ابن رسته، ابن الفقيه، . . . [72].

أما إذا انتقلنا القرن الرابع الهجري، فإننا نسجل ثلاث رحلات بارزة، أولهم رحلة المسعودي والتي نقلها لنا في كتابه"مروج الذهب ومعادن الجوهر". يقول في سبب تأليفه لهذا الكتاب: « فإنا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان، وقدمنا القول فيه في هيئة الأرض، ومدنها وعجائبها، وبحارها، والبحيرات الصغار، وأخبار الأبنية المعظمة، والمساكن المشرفة، وذكر شأن المبدأ، وأصل النسل، وتباين الأوطان، . . . . . »[73].

ولقد كان اهتمام المسعودي بالرحلة اهتماما بالغا، كونه أدرك أهميتها، الأمر الذي جعله يعدد منافعها. ف « ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه تفاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه وإثارة كل نفيس من مكمنه»[74].

والمطلع على أجزاء الكتاب يلاحظ أن صاحبه أولى اهتماما كبيرا بالجانب الأدبي، الأمر الذي دفع بـ "كراتشوفسكي" إلى تلقيبه بالأديب. إذ يقول عنه: « كان أديبا قبل كل شيء وناشرا للمعارف على منهج الجاحظ وابن الفقيه، مع ميل أكثر نحو الجدية ونحو

---

[71]. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ط2،القاهرة، 2002، ص117.

[72]. ينظر: المرجع نفسه، ص85 وما بعدها.

[73]. المسعودي أبو الحسين علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص3.

[74]. المرجع نفسه،ص7.

الأسلوب القصصي، فهو قاص ماهر، وفي كتابه يغلب عليه التاريخ يقابلنا أفضل تصوير للحياة الاجتماعية والثقافية في عصر الخلافة»[75].

وكتاب المسعودي هو حصيلة الرحلات التي قام بها خلال سنين، مسجلا كل ما شاهده وعاينه، إلا ما يلاحظ على رحلاته أنه« قد يصعب على القارئ أن يتبين متى ارتحل وأين نزل أو مانزل؟ فضلا على أنه ليس من السهولة بمكان تحديد أقطار قطعها وأي البحار ركبها فعلا لا قولا»[76] ويليه بعد ذلك البيروني، هذا الرحالة الذي برز في فترة عرف فيها أدب الرحلة نضجا كبيرا، نتيجة لما زخرت به (تلك الفترة) « من مصنفات مهمة بلغت أوج التطور الخلاق كحركة مستقلة قائمة بذاتها»[77]. ومن هؤلاء الرحالين نذكر: ابن حوقل، المقدسي، المسعودي، . . . فهؤلاء وغيرهم شكلو« ما يسمى بالمدرسة الكلاسيكية للغرافيا العربية»[78].

إن البيروني يمثل نقطة التقاطع بين القرنين الرابع والخامس الهجريين من خلال كتابه" تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"[79]. وعلى الرغم من جغرافية هذا الكتاب إلا أنه لايمكن« اعتباره كتابا جغرافيا، بالمعنى الضيق للفظ(. . . .) فالمكانة الأولى عنده تحتلها الحضارة الروحية للهند، وقليل من فصوله الثمانية يمس موضوعات جغرافية بحتة»[80].

---

[75]. كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانو فيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ص195.

[76]. عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافيةالمسعودي بين النظرية والتطبيق،ص28.

[77]. حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة للنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1983، ص12.

[78]. كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ص190.

[79]. ينظر: البيروني أبو ريحان محمد بن أحمد، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، دائرة المعارف العثمانية، دط، 1958م.

[80]. كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانو فيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ص297.

وإذا تجاوزنا القرن الحادي عشر الميلادي وجدنا هذه المصنفات الجغرافية سرعان ما أخذت تتسم « بالتنسيق الأدبي للمواد الواردة في المصنفات المتقدمة، وبدأ بعد ذلك نمطا آخر ينال القبول لدى الجمهور، ذلك هو وصف الرحلات »[81].

فالرحالة وابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي غيّر نمط كتابته، « فبعد ان كان اهتمامه منصبا على تسجيل الجوانب الجغرافية المتعلقة بالبلدان التي زارها، تحول في القرن السادس هجري(12م) نحو سرد تجربته، وذلك بذكره لكثير من خصوصياته، مشاعره، أفكاره، وانتقاداته، مع تحول في الطابع الأسلوبي للكتابة كذلك، إذ أصبح أسلوبا سرديا، وقصصيا، يتسم بالبساطة والسلامة، وبهذا انتقلت الرحلة من الطابع العلمي إلى الطابع الأدبي»[82].

وهكذا أصبحت الرحلات تقدم على شكل سير ذاتية، ومن هؤلاء الرحالين نذكر ابن العربي– وهو من الغرب الإسلامي– «"اشبيلية" في انجاه المشرق في نحو السادسة عشرة من عمره، غير أن رحلته التي تنسب إليه بعنوان(الرحلة)أو (ترتيب الرحلة) تعتبر مفقودة»[83].

وتم تعميم ادب الرحلات على الغرب الإسلامي بعد ان كان محصورا في الشرق الإسلامي خلال القرن السادس هجري(12م) مع الإدريسي من خلال مصنفه المسمى" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" والذي امتاز « بغزارة مادته في جغرافية المغرب وصقلية مما يشهد بانه ساح في تلك الآفاق»[84].

---

[81]. حسني محمد حسين ، أدب الرحلة عند االعرب، ص13.

[82]. سميرة انساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص48.

[83]. ينظر: عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية: دراسة ، ص10.

[84]. زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص65.

وجاء بعد الإدريسي رحالة آخر، إنه ابن جبير الأدبي والشاعر من خلال رحلته المسماة" تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" والمعروفة كذلك برحلة ابن جبير، وهي تضم ثلاث رحلات أولها كانت إلى الحجاز بدافع أداء مناسك الحج، وقد دون تفاصيلها في رحلته ناقلا من خلالها كل ماشاهد، ووقع عليه نظره من عجائب البلدان وغرائبها فوصف« بساتينها وأسواقها، وتعرض لعمرانها وهندستها فذكر مساجدها ومشاهدها ومستشفياتها ومدارسها، كما أبدى ملاحظات قيمة حول الحالةالاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فذكر العادات والتقاليد، ووصف الاحتفالات بالمواسم وانتقد المواقف التي تعبر عن بدع تتنافى مع الدين الإسلامي»[85] لتقطع بعد ذلك الرحلة شوطا كبيرا في مستواها الأدبي مع ابن بطوطة، وكذلك بما حظيت به من اهتمام عالمي لقيمتها[86]. إذ صار لا يكاد يذكر رحلة في التراث العربي إلا وتبادر إلى أذهاننا الرحالة ابن بطوطة ، بل إن رحلته شغلت أقلام العديد من الدارسين كونها اشتملت على معلومات متعددة التاريخية منها والجغرافية والاجتماعية. . . .

كما كانت موضع اهتمام المستشرقين. فقد « كان أول من تناول بالبحث العلامة كوزغارتنkosegartn وتلميذه ابتزApetz. فقد الأول تحليلا عاما للرحلة وثلاث مقتطفات من المتن تصحبها الترجمات والتعليقات بعنوان الرحلة الفارسية Iterperscum والرحلة الملديفيةItermaldivicum»[87].

[85]. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ج1، تقديم: سليم بابا عمر، موفم للنشر، دط، رغاية الجزائر،1988م.(المقدمة).

[86]. ينظر: عمر بن قينة اتجاهات الرحالين الجزائرين في الرحلة العربية الحديثة،ص13.

[87]. كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانو فيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ص470.

لم يدون ابن بطوطة رحلته، وإنما دونها ابن جزي بأمر من السلطان المغربي أبي عنان، حيث«أن مبنى الرحلة بمعظمه يرجع إلى ابن جزي، فيما المضمون بما فيه من أفكار وسرد روائي، يرجع بكليته إلى ابن بطوطة»[88].

فابن بطوطة قدم لنا وثيقة هامة عن حياة الأمة الإسلامية وأحوالها خلال القرن الثامن الهجري(14م)، رغم الصعاب التي كابدها في رحلته، خاصة وأن ظروف تلك الفترة كانت صعبة. إذ كانت الحكومات تتقاضى من المسافرين« الضرائب والمغارم والرشا على الدخول والخروج ومعابر الأنهار، ومع هذا فلم تكن تضمن لهم السلامة»[89]. إلا أن حب ابن بطوطة للرحلة وشغفه بها أقوى من تلك الظروف، الأمر الذي جعله« آخر جغرافي عالمي من الناحية العلمية، أي أنه لم يكن نقالة اعتمد على كتب غيره بل كان رحالة انتظم محيط أسفاره عدد كبيرا من الأقطار»[90].

وإلى جانب هؤلاء الرحالة المغاربة نذكر بالخصوص عبد الرحمن ابن خلدون، هذا الرحالة الذي اختلف حوله الكثير من الدارسين، كون رحلته جاءت في ثنايا الحديث عن سيرته الذاتية التي دونها في مؤلفه"التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا"[91]. ولأن هذا الكتاب عبارة عن سيرة ذاتية الهدف منه « التعريف به وبأحواله وظروف نشأته إلى ماقبل وفاته[92]».

5-2-2-المرحلة الثانية:

---

[88]. شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة الرحلة، ص18.

[89]. حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته: تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، دط، القاهرة، دت، ص21.

[90] . كراتشوفسكي، اغناطيوس يوليانو فيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ص452.

[91]. ينظر: عبد الرحمن بن محمد، التعريف باب خلدون ورحلته شرقا وغربا، تح محمد بن ثاويتالطنجي، الهيئة العمة للقصور الثقافة ، ط2، القاهرة، 2006م.

[92]. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي،ص539.

لقد عاش العرب فترة ظلام دامس على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولا سيما العلمية خلال القرن العاشر الهجري(16م) الأمر الذي جعل هذه الفترة عقيمة وراكدة من حيث الرحلات. وذلك لأسباب منها تعدد المشكلات السياسية والاقتصادية التي لحقت بالعالم العربي، هذا إلى جانب التراجع الثقافي والحضاري للفرد العربي. كما أن العديد من الدول العربية عانت في تلك الفترة من المشكلات الداخلية وأهمها التفاوت على السلطة في الوقت الذي شهدت فيه هذه الفترة العديد من الكشوفات الجغرافية الغربية، إذ تم اكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين. وكذا بداية الصعود الحضاري الأوربي [93]. إلا أنه سرعان ما عادت الرحلات العربية إلى النشاط شيئا فشيئا خلال القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين (11هـ . 12هـ) حيث شهد القرن السابع عشر بعض الرحلات نذكر منها – ومن المغرب العربي تحديدا– رحلة العياشي المسماة بـ"ماء الموائد" والمعروفة بالرحلة العياشية. وهي رحلة حجازية. ويذهب المستشرق كراتشوفسكي إلى أن رحلة العياشي واحدة من الرحلات التي ألفت خلال هذا العهد« الذي لم يطرأ فيه أي تقدم في هذا الميدان إلى العصر الحاضر، أو على الأقل إلى القرن التاسع عشر»[94].

ومن رحلات القرن 17م كذلك نذكر رحلة أحمد المقري التلمساني، وهي رحلة غير مطبوعة (مخطوط) تحمل عنوان"رحلة في المشرق والمغرب"[95]. أما إذا انتقلنا إلى القرن 18م(12هـ) فنجد أن نشاط الرحلة سرعان ما أخذ في البروز أكثر، ومن رحلات القرن الثامن عشر الميلادي نذكر رحلة ابن عمار المعروفة بـ" نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب". وقد جعل الرحلة في ثلاث أقسام: مقدمة، عرض مقصود وهو (الرحلة) وخاتمة. أما المقدمة (وهو القسم الموجود والمطبوع) فقد وصف من خلالها أشواقه إلى الحرمين وإلى

---

[93]. ينظر: فؤاد قنديل أدب الرحلة في التراث العربي، ص81.

[94]. كراتشوفسكي، اغناطيوس يوليانوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ص809.

[95]. ينظر: سميرة انساعد، صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، مجلة التراث العربي: مجلة فصلية تصدر عن اتحاد كتاب العرب، دمشق، ع97، السنة 24، آذار 2005،ص107 وما بعدها.

سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم. كما تحدث عن عادات الجزائريين أثناء الإحتفال بالمولد النبوي. أما القسم الثاني – وهو مفقود– فقد تحدث عن رحلته من الجزائر إلى الحجاز مرورا بكل من تونس وطرابلس ومصر. أما الخاتمة فهي ضائعة كذلك[96].

كما تعد رحلة الورثلاني واحدة من رحلات القرن الثامن عشر، والتي تحمل عنوان " نزهة الإنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"[97]. وهذه الرحلة تعد بحق « موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر ميلادي(18م). فهي من المراجع التي لاغنى عنها في هذا المجال. وكان تكرار حجة وإتقانه العربية ومعرفته بعادات الشرق والغرب وقد جعلت الورثلاني حكما منصفا على العصر وأهله في الكثير من المناسبات»[98].

ونختم هذا القرن برحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة بـ" لسان المقال في النبأعن النسب والحسب والحال"[99]وكانت لغرض العلم من جهة ، وللتجارة من جهة أخرى. والرحلة في أجزاء، إلا أن الجزء الأول منها ضائع، كما قد تكون هناك أجزاء ثلث الجزء الثاني وقد ضاعت كذلك، لأن الرحالة ابن حمادوش عاش لسنوات بعد الرحلة الثانية. ومما يدل على وجود الجزء الأول من الرحلة تلك الإشارات التي كان يوردها في الجزء الثاني ومنها قوله« وقد تقدم في الجزء الأول»[100].

---

[96]. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص392.

[97]. ينظر: الورثلاني سيدي الحسن بن محمد، الرحلة الورثلانية، الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج1، تقديم محمد بن أبي شنب ، مكتبة الثقافة الدينية،ط1، القاهرة، 2008م.

[98]. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، ص398.

[99]. ينظر: ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله ، الطباعة الشعبية للجيش، دط، الجزائر ، 2007.

[100]. المصدر نفسه،ص126.

وقد حوت الرحلة على معلومات جد مهمة للبلاد(المغرب، الجزائر)خاصة في تلك المرحلة- العهد العثماني- والتعي لاتزال تفتقر إلى معلومات، ولعل أهم ماسجله لنا الرحالة هو طباع وعادات كل من الجزائر والمغرب في ليلة القدر والمولد النبوي الشريف.

إن هذه الرحلة إذا كانت سجلا لايستغنى عنه لمعرفة طبيعة الحياة الجزائرية والمغربية بمختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والثقافية، فهي كذلك مصدر لحياة مؤلفها. « ذلك ان المعاصرين لابن حمادوش لم يترجموا له، كما لم يترجم له. . . المتأخرون. . . أما هذه الرحلة ففيها . . . الكثير عن أخباره ونشاطه العلمي وتأليفه وأسفاره وعلاقاته. . . . ومن خلالها نستطيع أن نقول أننا نعرف الكثير عن ابن حمادوش»[101] حتى وإن أخذت الرحلة أربع أو خمس سنوات من عمره.

وإذا انتقلنا إلى القرن التاسع عشر الميلادي سنجد أن الرحلة قد شهدت نشاطا كبيرا، إذ هبت عليها نسمة النهضة، وذلك بفعل عوامل نذكر منها احتكاك العرب بالغرب الوافد إلى البلدان عربية. خاصة مع حملة نابليون بونابرت على مصر عام 1798م. والتي تعد مؤشرا لبداية النهضة العربية الحديثة إذ رافقت العديد من العلماء وفي مختلف الإختصاصات. هؤلاء الذين جلبو معهم مطبعة لطبع الأوامر والمنشورات[102] وقد نتج عن هذا الإحتكاك تغيرات كان لها أثر بالغ على الذهنية العربية. ولعل أهم ما شهده أدب الرحلة في هذه المرحلة هو اتجاه الرحلة نحو الغرب، بل صارت« قاصرة عليه، وكأن الأرض ليس فيها إلا غربها. وقليل جدا، إن لم يكن من النادر من يتطلع إلى الشرق، ولعل هذا مرجع التقدم الكبير الذي أحرزه الغرب خاصة بعد الثورة الصناعية، وتحديث أساليب العمل

---

[101]. أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة الجزائري ابن حمادوش: حياته وأثاره، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1982، ص77.

[102]. ينظر :عباس بن يحي، مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر ،(عين مليلة)،دت، ص18-19.

والإنتاج، وإقامة دور العلم الكبرى. فلم يعد طالبو العلم يشدون الرحال إلى بغداد ودمشق والقاهرة، كما كان العهد في الماضي، وإنما أصبحوا جميعا ينطلقون إلى باريس ولندن»[103].

وقد كان لهذه الرحلات نحو الغرب فوائد كبرى، فهي « من أهم الوسائل التي عرفتهم بمظاهر الحضارة الأوربية في القرن التاسع عشر. . . فقرأ بعض مواطنيهم الذين لم يتمكنوا من زيارة أوروبا بأنفسهم»[104] ومن رحالي المغرب العربي في هذه المرحلة نذكر رحلة خير الدين التونسي باتجاه أوروبا. والتي نقل لنا من خلالها مظاهر عشرين بلدا أوربيا(فرنسا، بريطانيا، إيطاليا. .)والرحالة حرر رحلته في كتاب سماه" أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"[105] وهذه الرحلة كانت لغرض سياسي، إذ« أرسله أحمد باي تونس(من1837إلى 1800) إلى باريس سنة 1853 ليدافع عن مصالح الحكومة التونسية في الدعوة التي قد رفعتها على اللواء محمود بن عياد»[106] ومن خلال رحلته لاحظ الفرق الشاسع والهوة الموجودة بين المجتمع الغربي المتحضروالمجتمع الشرقي المتأخر. فكان الداعي إلى تأليف هذا الكتاب أمران يصبان في مقصد واحد« أحدهما: إغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس مايمكنهم من وسائل الموصلة إلى حسن حال الأمة الإسلامية، وتنمية أساب تمدنها بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان(. . .) ثانيهما: تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الإعراض عما يحمد من سيرة الغير، الموافقة لشرعنا(. . .)»[107].

---

[103]. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص81.

[104]. سبايادنازك، الرحالة العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، نوفل للطباعة، ط2، 1992،ص8-9.

[105]. ينظر: خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مج1، تح: المنصف الشنوفي، شركة أوربيس للطباعة، ط2، تونس،2000.

[106]. سبايادنازك، الرحالة العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة،ص20.

[107]. خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مج1، ص98.

ويحدثنا خير الدين التونسي في مؤلفه هذا عن مظاهر الحرية الشخصية والسياسية والفكرية في فرنسا. والتي قضت بدورها على العبودية، محققة مقابل ذلك النهضة والتقدم. كونها أعطت للإنسان حق التصرف. إلا أن حديث الرحالة عن مظاهر الحرية والمساوة في مختلف البلاد الأوربية، ولكن هذا لم يقده إلى الإنسلاخ عن مبادئ دينه وأهله. فهو يدعونا إلى الإقتباس من الغرب، ولكن شرط أن نعرف ما نأخذ وما ندع لأن التقليد الأعمى سيؤدي لامحالة إلى الذوبان وفقدان الشخصية والولوج أكثر في أعماق الجهل والتخلف. ومن ثم لابد « أن يتخير منها مايكون بحالنا لائقا، ولنصوص شريعتنا مساعدا وموافقا، عسى أن نسترجع منها ماأخذ من أيدينا، ونخرج باستعماله من ورطات التفريط الموجود فينا»[108].

أما في الجزائر فنجد رحلات عدة منها رحلة أبو راس الناصر والتي كانت باتجاه المشرق العربي لأداء مناسك الحج، وكذلك رحلة الحاج الدين الأغواطي المسماة" رحلة الأغواطي في شمالي إفريقيا والسودان والدرعية"[109] وهذه الرحلة « كتبها بطلب من مساعدة القنصل الأمريكي في (الجزائر) السيد (ويليام هودسون) قبل الإحتلال الفرنسي بأقل من خمس سنوات »[110] والحاج ابن الدين الأغواطي لم يكتب له الرحلة بالتفصيل، وإنما أشار إلى الخطوط العريضة لكل منطقة سواء عن الجزائر أو عن شبه الجزيرة العربية.

أما رحلة سليمان بن صيام والمعروفة بالرحلة الصيامية فقد كانت باتجاه باريس سنة1852، وقد استغرقت اكثر من شهر. قدم من خلالها وصفا للعديد من الأشياء

---

[108]. خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مج1، ص97.

[109]. الرحلة كتبها في نهاية العشرينيات ونشرها هودسون بالإنجليزية سنة 1830م وأعادها إلى العربية أبو القاسم سعد الله، للاطلاع على الرحلة ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2،دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990م، ص243-248.

[110]. عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ص16.

الحديثة التي لاحظها في المجتمع الفرنسي، مشيرا إلى أن ذلك التطور الذي شهدته فرنسا لم يكن مقتصرا على جانب معين، وإنما على جميع الجوانب.

وإذا كان سليمان بن الصيام منبهرا بمظاهر التطور الحضارة في فرنسا، فإن رحلة أحمد ولد قاد–سنة 1878– كانت أقل انبهارا واندهاشا بهذه المظاهر.

أما رحالي القرن التاسع عشر من المشرق العربي نحو بلدان عربية نذكر رحلة أحمد فارس الشدياق، رحلة رفاعة الطهطاوي، وسنقف عند الرحلة الأخيرة والتي كانت باتجاه فرنسا. ولقد نقل الطهطاوي ملاحظاته الباريسية في كتاب سماه" تلخيص الإبريز في تلخيص باريز"[111]. ولقد أسهب رفاعة الطهطاوي في الحديث عن التطورات العلمية التي شهدتها باريس، كما عني بوصف طباع أهلها وعادتهم وما ميزها من نظام ونظافة وآداب، خاصة وأن فرنسا شهدت تلك الفترة تحولات عميقة ومن جوانب عدة ناتجة عن الثورة الفرنسية.

وإذا نظر رفاعة إلى الحضارة الغربية نظرة إعجاب وانبهار نتيجة ما حققته من حرية ومساواة، إلا أن هذه النظرة كانت بعين مشرقية، لأن إعجابه لم يعمل على انسلاخه عن دينه الحنيف وموروثه الأصيل. إذ رفض كل مايعارض الدين، وتجلى ذلك من خلال استشهاده بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، بل إن باريس وما حققته من علم وفنون أدبية وصناعات ومعارف بشرية جعلته يصف هذه المظاهر بإعجاب، ويبدوذلك في قوله:«يظهر لمن تأمل في أحوال العلوم والفنون الأدبية والصناعة في هذا

[111]. ينظر: الطهطاوي رفاعة رافع، تلخيص الإبريز في تعلخيصباريز، تقديم: الصغير بن عمار، موفم للنشر، دط، الجزائر(رغاية)،1991.

العصر، بمدينة باريس، أن المعارف البشرية قد انتشرت وبلغت أوجها بهذه المدينة، وأنه لايود من حكماء الإفرنج من يضاهي حكماء باريس، بل ولا في الحكماء المتقدمين»[112].

وإذا عبرنا القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين وجدنا مجال الرحلة يزداد، واتجاهاتها تنمو وتتعدد. وبما أنه لايمكننا أن نقف عند كل رحلة على حدى ارتأينا أن نقدم عناوين بعض الرحالات وأصحابها سواء كانت مشرقية أو مغربية باستثناء الرحلات الجزائرية التي سنحاول الوقوف عند النقاط العريضة فيها، اقتصرنا على ذكر بعض الرحلات دون غيرها راجع إلى كون هؤلاء الرحالين والذين ذكرهم النساج نذكر:

- حسين فوزي: ومن مؤلفاته في الرحلة: سندباد مصري، سندباد في رحلة الحياة، سندباد في سيارة، . . .
- محمود تيمور:ومن مؤلفاته أبو الهول يطير، الأيام المائة، . .
- أنيس منصور: ومن مؤلفاته: حول العالم في 200يوم، أطيب تحياتي من موسكو،..
- أحمد محمد حسين: في صحراء ليبيا.
- أمين الريحاني: المغرب الأقصى، ملوك العرب، الريحانيات[113]، هذا إلى جانب رحلات طه حسين، توفيق الحكيم، فاروق خورشيد، صبري موسى. . . ، كا نذكر الرحالة محمد الخضر حسين صاحب رحلات كثيرة في المغرب والمشرق، أهمها رحلته إلى الجزائر التي قام بها سنة1902. وصف فيها المسالك والمعالم، كما ذكر الأدباء والعلماء الذين لقيهم، ودون ما كان بينه وبينهم من محاورات[114].

---

[112]. المصدر نفسه، ص233.

[113]. ينظر: سيد حامد النساخ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص14-15.

[114]. ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي في المغرب، المكتبة البوليسية، ط1، لبنان، 1982، ص636.

ومن خلال اطلاعنا على بعض رحلات القرن العشرين الجزائرية، وجدنا أن معظمها كانت خارجية، أي نحو دول أوربية ولا سيما فرنسا. كون الجزائريون وجدوا في حضارة فرنسا حضارة متطورة سجلت فترة علمية وصناعية.

أما الرحلات الداخلية فنسجل عدة رحالين نذكر منهم ابن باديس والذي نسجل له خمس رحلات شملت العديد من المدن الجزائرية، وهي لاتخرج في معظمها عن توعية الشعب ودعوتهم إلى اتباع كتاب الله وسنته وذلك مما لاحظه من صراع قبلي، واستسلام البعض للدجل والشعوذة من خلال ما كانت تزرعه الطرقية من بدع.

إن الرحالة عبد الحميد بن باديس إنما كان يهدف من خلال رحلاته الخمس إلى تكوين أمة عربية مسلمة متشبثة بقيمها ومبادئها التي تعد أساس نهضتها، ورحلاته الخمس الداخلية حملت العناوين التالية:[115]

- للتعاون والتذكير.
- جولة صحفية.
- في بعض جهات الوطن.
- ثلاثة أيام ببسكرة.
- رحلتنا إلى العمالة الوهرانية.

والملاحظ لهذه العناوين يجد أن الرحلة الخامسة هي الوحيدة التي حملت لفظ رحلة. أما الرحلات الأخرى فكانت بعناوين عادية.

[115]. للاطلاع على هذه الرحلات ينظر: ابن باديس عبد الحميد، ابن باديس: حياته وآثاره،ج4، جمع ودراسة: عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط1،الجزائر،1968،ص297-324. وهذه الرحلات نشرت من قبل في الشهاب باستثناء الرحلة الرابعة التي حملت عنوان، ثلاث أيام ببسكرة، لم يتضمنها الكتاب وإنما نشرت في مجلة الشهاب فقط.

قام أحمد رضا حوحو برحلة إلى الإتحاد السوفياتي، وهو أول كاتب جزائري قصد هذا البلد حيث سجل فيها ماشاهده من تطور حضاري وصناعي وثقافي في روسيا بصدق وموضوعية، ومعجبا بالنظام الاشتراكي ومأخوذا به وبقيمته، وهو ما يرفع من قيمة الرحلة في موضوعها ومضمونها. أما من جهة« أسلوبها ولغتها، فقد غلب عليها الطابع الصحفي المباشر، دون اعتبار للجانب الفني الأدبي»[116]، وقد عنونها بـ"وراء الستار الحديدي" ونشرها في حلقات متتابعة.

يرى كل من الرّكيبي وسعد الله، أن هناك رحلات أخرى غير التي ذكرناها في القرنين19م و20م، « لكنّها مازالت مجهولة لدينا، وحين يكشف عنها ستكون شواهد هامة تفيد المؤرخ والباحث الأدبي وغيرهما»[117]، مما يسهم في فهم حركة المجتمع فكريا واجماعيا وثقافيا.

6- الرحلات الجزائرية إبان الثورة التحريرية(1954م -1962):

يرى الدكتور سعد الله أنه لا يمكن الحديث عن رحلات مدونة مكتوبة وبالأسلوب المغاربي القديم، والذي يتحدث فيه الرحالة عن مشاهداته ولقاءاته وما عاش منه من أحداث، « وذلك فإن حديثنا عن الرحلات هنا تمحُّل وتعسف، فنحن نشير فقط إلى تقاليد وإلى مدونات لا تدخل في باب الرّحلة إلا تجاوزا»[118]، ومنها:

6-1- رحلة الشيخ محمد المنصوري الغسيري:

المعنونة بـ"عدت من الشرق"، نشرها في جريدة البصائر في عشرين حلقة، وقد قادته هاته الرحلة إلى مصر سنة 1953، مترئسا وفدا للكشافة الجزائرية بدعوة من الكشافة

---

[116]. عبد الله الركيبي،الأعمال الكاملة، مج4،ص69.

[117]. المرجع نفسه، ص74.

[118]. أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي،ج10، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1،2007.

المصرية، وبصحبة أعضاء من جمعية العلماء المسلمين وغيرهم من الساسة آنذاك حيث سجل فيها مشاركته وحضوره في مختلف النشاطات والإحتلافات واللقاءات الرسمية والعفوية، كما تحدث في رحلته عن اغتنامه الفرصة لأداء مناسك الحج، وأنشطتهم الدعوية والفكرية والسياسية بلبنان، ثم عودتهم إلى مصر فالجزائر.[119]

6-2- رحلة الشيخ البشير الإبراهيمي:

فقد رحل الإبراهيمي إلى المشرق في يناير1952، واستمرت رحلته إلى مابعدالإستقلال، حيث تجول في مختلف البلاد العربية الإسلامية، وقد كان هدفه من هذه الرحلة الطويلة« الحصول على منحة دراسية للطلاب الجزائريين، وتفقد البعثات الطلابية والإشراف عليها، والتعريف بالقضية الجزائرية، بالإضافة إلى نشاطه الدعوي والمشاكة في مختلف المؤتمرات الإسلامية وتنظيمها وترأسها تارة»[120]، ومن المؤسف أننا« لا نجد جولات مسجلة ما عدا بعض الخطب والبرقيات والرسائل، وهي مذكورة في الجزء الخامس من آثاره»[121]، كما ان لمقالاته في البصائر- تحت عنوان"من نفحات الشرق"- رصيداً ثريا للرحلة المنشودة، خاصة أن الإبراهيمي يملك ناصية اللّغة والبيان العربي في عصره ومن دون منازع.

6-3- رحلة الشيخ العربي التبسي:

وهو النائب الأول للشيخ البشير الإبراهيمي، وقد أدى فريضة الحجّ عشية الثورة، كما تجول في العديد من مدن الشرق وعواصمها، وشارك في أنشطة هامة، لكنه لم يدونها بنفسه، سيما أنه عاش في مصر سابقا، له مجال واسع للمقارنة بين ما عرفه في

---

[119]. ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، ص580-581.

[120]. المرجع نفسه، ج10، ص583.

[121]. المرجع نفسه،ج10، الصفحة نفسها.

العشرينيات وبين ما وجده بعد نحو الثلاثة عقود، وللأسف لايوجد وصف مفصل عن تنقلاته ومقلاته ومشاهداته ما عدا ما كتبه السيد البشير كاشه[122]، الذي لخص نشاط الشيخ في المدينة المنورة.

6-4- رحلة الباهي فضلاء:

قام رحلة برية رفقة جماعة من أهل الفن نحو مصر مرورا بتونس وليبيا، وذلك بغية التواصل بالأوساط المسرحية والسينمائية المصرية، هذه الأخيرة التي بلغت شاواً كبيرا في عالم الفن، غير أن هذه الرحلة خيبت أحلام الجماعة[123]، ولم يسجل من الرحلة ما عدا بعض الانطباعات والمشاهدات واللقاءات في كل مكان حلت به.

6-5- رحلة الشيخ العباسي:

والتي قادته إلى القاهرة، حيث التقى فيها بالشيخ الإبراهيمي للتشاور حول أمور جمعية العلماء المسلمين والقادة السياسيين واختلاط الأمور عليهم[124]، ثم عاد إلى الجزائرفي العام نفسه.

رحلة المختار اسكندر:

سمى رحلته بـ"رحلة إلى الشرق أو ثلاثين يوما في الحرية"، «وقد قادته إلى سوريه لحضور مؤتمر كشفي، ومازالت مكتوبة بقلم الرصاص دون تغيير، لكنها كانت قبل الثورة بقليل»[125].

6-6- رحلة محمد الصالح رمضان:

---

[122]. ينظر: المرجع نفسه، ج10، ص585.

[123]. ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، ص587.

[124]. ينظر: المرجع نفسه، ج10، ص588.

[125]. المرجع نفسه، ج10، الصفحة نفسها.

من رجال جمعية العلماء المسلمين، قادته رحلته إلى"وارسو"عاصمة بولندا، للمشاركة في ندوة عالمية للشباب، حيث عنون رحلته بـ"سوائحوارتسامات عابر السبيل"، « وقد أطلق فيها العنان لقلمه الرومنسي ليصف الناس والطبيعة وآثار الحرب العالمية الثانية على بولندا»[126]، مع حلمه باستقلال الجزائر، كما أنه كان مسحورا بالأجواء الأوربية من ربيع وشباب وحرية خلال مروره بإيطاليا والنمسا وفرنسا. « والملفت أن الشيخ رمضان لم يسجل رحلته إلا في السبعينيات، ونشرها في حلقات في جريدة الشعب عام 1987م»[127].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك رحلات كتبت بأقلام أدباء وصحفيين تونسيين من أصول جزائرية أو كان منشأهم بتونس، حيث كان إسهام في الحركة الوطنية ومقارعة الإستعمار الفرنسي، فجالوا أرض الجزائر وكتبوا عنها وعن أهلها، كما عملوا فيها وقضوا بها جل وقتهم، فحريّ بنا أن نذكرهم وننوه برحلاتهم وما قدموه في إيجاز منهم:

6-7- رحلات الطيب بن عيسى:

صحفي معروف له جريدة بعنوان"الوزير"صدرت سنة 1920، تونسي من أصل جزائري، ساهم في تحرير وإصدار عدد من الصحف في كل من تونس والجزائر، منها جريدة "المثير"، كان من الرحيل الأول الذي ساهم في الحركة الوطنية، عرف على الرحلة مشرقا ومغربا بغرض السياحة والترويج لجريدته المذكورة آنفا، قام بعدة رحلات إلى الجزائر(1927-1926-1923-1920)، فزار العديد من المدن الجزائرية شرقا وغربا، فتناول في رحلاته الأوضاع الإقتصادية والفكرية والحالة المتردية التي يحياها الجزائري في ظل الإحتلال، وقد كان غرضه من هذه الرحلات المتتابعة هو الإطلاع على النهضة

[126]. المرجع نفسه، ج10، ص589.

[127]. أبو القسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، ص590.

الأدبية والاقتصادية في الجزائر، وواقعها ومستقبلها في ظل الإحتلال الفرنسي[128]، منتهجا بذلك أسلوب التحليل والمقارنة بين الفترات الزمنية التي زار فيها الجزائر.

6-8- رحلة الشاعر حمزة بوكوشة:

مولده بوادي سوف، قادته رحلته سنة 1932م إلى العديد من ولايات الوطن، مستعرضا فيها طبيعتها العمرانية، وما تشهده من نشاط فكري وعلمي ونهضة إصلاحية ومقاومة للإنحراف والطرقية، وقد جاءت رحلته استجابة وتلبية للدعوة التي وجهتها له جريدة "الوزير" التونسية[129]، لتسجيل مشاهداته عن المدن الجزائرية.

6-9- أحمد حسين المهيري:

من مواليد صفاقس، قام برحلته إلى الجزائر سنة 1922م، نشرت بجريدته "العصر الجديد"من نفس العام، والتي كانت تصدر بتونس وتوزع على نطاق واسع بالشرق والجنوب الجزائري، وقد كان الشيخ الطيب العقبي والشاعر محمد العيد الزاهري من أهم مراسليها، « وقد عني فيها المهيري بالأوضاع الإجتماعية والثقافية ومشجّعا لها وموجها لبعضها من العلماء والسياسيين والشّعراء»[130].

7- مميزات أدب الرحلة:

إن تعدد أنواع الرحلة- كما سبق وأشرنا- جعلها تشغل اهتمام العديد من الدارسين، وإن كان هذا الفن لايزال يحتاج إلى دراسات من جوانب عدة نتيجة لما حظي به من ميزات وخصائص، فأهم ما يميزه هو الشمول والتنوع، وهذان الملمحان يميزان جل ما دون وحرر

---

[128]. ينظر: محمد صالح الجابري، رحلات جزائرية،تق، محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 2001، ص16-17.

[129]. ينظر :محمد صالح الجابري، رحلات جزائرية، ص19.

[130]. ينظر: محمد الصالح الجابري،رحلات جزائرية، ص09.

في أدب الرحلة، فهو يشمل« التاريخ والجغرافيا والدين والإجتماع والسياسة. كذلك فإنها تعنى بالوصف الدقيق، والتصوير الأمين والنقل الصادق، بدافع تحري الدقة تحريا علميا موضوعيا، وهي عندئذ تتجلى بالإبتعاد عن الهوى والميل و الغرض الذاتي»[131].

هذا فيما يتعلق بالشمول، أما التنوع فيتمثل أساسا فيما يزخر به من مواد ذاتية غنية« فهو تارة علميا وتارة شعبي، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة، لذا فهو يقدم مادة دسمة متعددة الجوانب ليس لها مثيل في أدب أي شعب معاصر للعرب»[132].

[131]. سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا،ص09.

[132]. كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي، ص28.

الفصل الثاني:

الأنساق الثقافية في رحلة أبو القاسم سعد الله

1- مفهوم النسق:

أ- لغة:

عرف ابن منظور النسق في مادة(نسقَ) بتعريف مفاده أن "النسق من كل شيء ما كان على طريقة ونظام واحد، عام في الأشياء وقد نسقه تنسيقاً، وذهب ابن سيده إلى القول "نَسَقَ الشَّيءَ، يَنْسَقُهُ نَسْقًا ونسقه نظمه على السواء".

ويقصد بالتنسيق التنظيم، والنسق: ما جاء من الكلام على نظام واحد، والعرب تقول لطوار الجدل ‘ذا امتد مستويا: خذ هذا النسق أي على هذا الطِّوَارِ والكلام إذا كان مسجوعا، قيل له: نسقٌ حَسن[1].

وتدل كلمة النسق(systéme)، في المعاجم الأجنبية الحديثة والمعاصرة على مجموعة من العلامات اللسانية والأدبية والثقافية، أو على مجموعة من العناصر والبنيات التي تتفاعل فيما بينها، وفق مجموعة من القواعد والمبادئ والقواعد والمعايير.

ب- اصطلاحا:

تتلف تعريفات النسق باختلاف المفاهيم لدى المنظرين والنقاد والفلاسفة والعلماء. . . . ، فالنسق هو انتظام واسع الأفق، وظيفته عامة وشاملة تعمل ضمن احتواء كلي تداخلي لعناصر البيئة المشتركة وذلك لأنه"انتظام بنيوي يتناغم وينسجم فيما بينه ليولد نسقا أهمّ وأشمل"[2]، وبناء عليه فإن النسق العام تتولد عنه أنساق فرعية تنظمه بشكل منسجم، فالمجتمع الواحد في أي بنية تنشأ له أنساق فرعية متكاملة الوظيفة فيما بينها كالسياسي والثقافي و الإقتصادي، العلمي. . . وغير ذلك، على أن كل واحد على علاقة وطيدة

[1] . ابن منظور لسان العرب، المجلد الخامس، ج49، ص13-49.

[2] . محمد فتاح، التشابه والإختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1996، ص156-157.

متشابكة متشبعة مع الأنساق الأخرى، مع احتفاظ كل فرع منها بمميزاته الخاصة به. واعتمادا على هذا التحديد يمكن استخلاص عدّة خصائص للنسق منها:

- كل شيئ مكون من عناصر مشتركة ومختلفة فهو نسق.
- له بنية داخلية ظاهرة.
- حدوده مستقرة بعض الإستقرار يتعرف عليه الباحثون.
- قبوله في المجتمع لأنه يؤدي وظيفة فيه لا يؤديها نسق آخر.

يحملنا هذا الكلام إلى أن النسق عالم قائم بذاته، ينتظم ضمن أطر خاصة به–المقصود النسق العام– التي تحدد كيانه ووجوده ووظيفته المنوطة به، لأنه انتظام بنيوي«لأن النسق البنيوي مظهر من مظاهر النسق العام، فقد يكون النسق مغلقا كما تطرحه البنيوية الصورية، وقد يكون مفتوحا كما هو الشأن بالنسبة إلى المناهج النقدية الأخرى»[1].

يتضح أن للنسق مفهوم أوسع أفقا من البنية لوصفه انتظاما بنيويا، ومن منظور آخر يبرز عبد الله الغذّامي فعل النسق في الخطاب على أنه«يجري استخدام النسق كثيرا في الخطاب العام والخاص وتشبع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها وتبدأ بسيطة كان تعرف ماكان في نظام واحد كما في تعريف المعجم الوسيط وقد تأتي مرادفة لمعنى البنية (structure) أو بمعنى النظام (system) حسب مصطلح ديسوسير»[2].

وفي هذا الكلام دعوة لضبط مصطلح "النسق" وتسمية الأشياء بمسمياتها الملائمة بعيدا عن العشوائية.

---

[1] . أحمد يوسف، القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحاثية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف 2007،ط1،ص116.

[2] . عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، العربية، مرجع سابق، ص80.

ج- مفهوم النسق الثقافي:

النقد الثقافي هو الذي يدرس الأدب الفني باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة، وبتعبير آخر، هو ربط الادب بسياقه الثقافي غير المعلن. ومن ثمّ، لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية، ومجالات شكلية موحية، بل على أساس على أنها أنساق ثقافية مضمرة، تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاق والقيم الحضارية والإنسانية. ومن هنا يتعامل النقد الثقافي مع الأدب الجمالي ليس باعتباره نصا، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر أكثر مما تعلن.

يحسن بنا ألاّ نخلط بين النقد الثقافي ونقد الثقافة أو الدراسات الثقافية العامة، فالنقد الثقافي هو الذي يتعامل مع النصوص والخطابات الأدبية والجمالية والفنية، فيحاول استكشاف أنساقها الثقافية المضمرة غير الواعية. وينتمي هذا النقد الثقافي إلى مايسمى بنظرية الأدب على سبيل التدقيق. في حين، تنتمي الدراسات الثقافية إلى الأنثروبولوجيا والإتنولوجيا وعلم الاجتماع والفلسفة والاعلام وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى. وفي هذا السياق يقول عبد الله الغذّامي:«ونميز هنا بين (نقد الثقافة)و(النقد الثقافي)، حيث تكثر المشاريع البحثية في ثقافتنا العربية، من تلك التي عرضت وتعرض قضايا الفكر والمجتمع والسياسة والثقافة بعامة، وهي مشاريع لها إسهاماتها المهمة والقوية، وهذا كله يأتي تحت مسمى(نقد الثقافة)، كما لابد من التمييز بين الدراسات الثقافية من جهة والنقد الثقافي من جهة ثانية، وهذا التمييز ضروري التبس على كثير من الناس حيث خلطوا بين (نقد الثقافة) وكتابات (الدراسات الثقافية)، وما نحن بصدده من (نقد ثقافي)، ونحن نسعى في مشروعنا إلى تخصيص مصطلح (النقد الثقافي) لكون مصطلحا قائما على منهجية أدواتية وإجرائية تخصه

أولا، ثم هي تأخذ على عاتقها أسئلة تتعلق بآليات استقبال النص الجمالي، من حيث أنه المضمر النسقي لا يبتدى على سطح اللغة، ولكنه نسق مضمر تمكن مع الزمن من الاختباء، وتمكن من اصطناع الحي في التخفي، حتى ليخفى على كتاب النصوص من كبار المبدعين والتجديديين، وسيبدو الحداثي رجعيا، بسبب سلطة النسق المضمر عليه»[1].

نستخلص مما سبق أن النقد الثقافي عبارة عن مقاربة متعددة الاختصاصات، تتبني على التاريخ، وتستكشف الأنساق والأنظمة الثقافية ، وتجعل النص، أو الخطاب، وسيلة أو أداة لفهم المكونات الثقافية المضمرة في اللاوعي اللغوي والأدبي والجمالي. أما الدراسات الثقافية فتهتم بعمليات إنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها، وقد توسعت لتشمل دراسة التاريخ، وأدب المهاجرين، والعرق ، والكتابة النسائية، والجنس، والعرق، والشذوذ، والدلالة، والإمتاع. . . وذلك كله من أجل كشف نظرية الهيمنة وأساليبها.

ويرى عبد الله محمد الغذّامي ضرورة ربط النقد الثقافي بالنسقية، فإن كان رومان جاكبسون قد حدد ست وظائف لستة عناصر: الوظيفة الجمالية للرسالة، والوظيفة الانفعالية للمرسل، والوظيفة التأثيرية للمتلقي، والوظيفة المرجعية للمرجع، والوظيفة الحفاظية للقناة، والوضيفة الوصفية للغة. فقد حان الوقت من أجل إضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي[2]. ويعني هذا أن النقد الثقافي يهتم بالمضمر في النصوص والخطابات، ويستقصي اللّاوعي النصي، وينتقل دلاليا من الدلالات الحرفية والتضمينية إلى الدّلالات النسقية.

يستند النقد الثقافي إلى ثلاثة دلالات: الدلالة المباشرة الحرفية، والدلالة الإيحائية المجازية الرمزية، والدلالة النسقية الثقافية، « وإذا قبلنا-يقول الغذّامي- بإضافة عنصر سابع إلى عناصر الرسالة الستة، وسميناه بالعنصر النسقي، فهو يصبح المولّد للدلالة النسقية،

---

[1] . ينظر: عبد الله محمد الغذّامي وعبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى سنة 2004م،ص37-38.

[2] . ينظر: عبد الله الغذّامي وعبد النبي اصطيف:نقد ثقافي أم نقد أدبي، مرجع سابق، ص24.

وحاجتنا إلى الدلالة النسقية هي لب القضية، إذ إن ما نعهده من دلالات لغوية لم تعد كافية لكشف كل ما تخبئه اللغة من مخزون دلالي، ولدينا الدلالة الصريحة التي هي الدلالة المعهودة في التداول اللغوي، وفي الأدب وصل النقد إلى مفهوم الدلالة الضمنية، فيما نحن هنا نقول بنوع مختلف من الدّلالة النسقية هي قيمة نحوية ونصوصيةمخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي. ونحن نسلم بوجود الدلالتين الصريحة والضمنية، وكونهما ضمن حدود الوعي المباشر، كما في الصريحة، أو الوعي النقدي، كما في الضمنية، أما الدلالة النسقية فهي في المضمر وليست في الوعي، وتحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي لكي تكتشفها، ولكي تكتمل منظومة النظر والإجراء»[1].

ويعتمد النقد الثقافي على مصطلح النسق المضمر، وهو نسق مركزي في إطار المقاربة الثقافية، على أساس أن كل ثقافة معينة تحمل فير طياتها أنساقا مهيمنة، فالنسق الجمالي والبلاغي في الأدب يخفي أنساقا ثقافية مضمرة. وبتعبير آخر، ليس في الأدب سوى الوظيفة الأدبية والشعرية، فهناك كذلك الوظيفة النسقية التي يعتنى بها النقد الثقافي، يقول عبد الله الغذّامي:«نزعم في عرضنا لمشروع النقد الثقافي، ان في الخطاب الأدبي، والشعري تحديدا، قيما نسقية مضمرة، تتسب في التأسيس لنسق ثقافي مهيمن ظلت الثقافة العربية تعاني منه على مدى مازال قائما، ظلّ هذا النسق غير منقود ولا مكشوف بسبب توسله بالجمالي الأدبي، وبسبب عمى النقد الأدبي عن كشفه، منذ انشغل النقد الأدبي بالجمالي وشروطه، أو عيوب الجمالي، ولم ينشغل بالأنساق المضمرة، كنسق الشعرية»[2].

[1] . ينظر: عبد الله الغدامي وعبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، مرجه سابق، ص26-27.

[2] . المرجع نفسه، ص31.

خلاصة لتعريفات النسق والثقافة، يمكن الإلمام بمفهوم النسق الثقافي، فالدراسات التي انصبت على قراءة الأنساق الثقافية، وجدت مجالا منفتحا على التأويل، وهذا النسق يخضع بدوره إلى شروط موضوعية تتمثل في الجوانب الاجتماعية والثقافية. [1]

ومنه يمكن القول أن النسق الثقافي بنية اتخذت فيها عناصر مختلفة تداخلت في بينها وتفاعلت، مشكلة ثقافة خاصة في مجتمع بعينه، على أن مكتسبات الإنسان من عناصر متكاملة لكل منها ميزاته ونواميسه التي تحكمه، كما يحوز على رتبة معينة في إطار النسق الثقافي، الذي هو ذاته النسق الثقافي، الذي هو ذاته النسق العام، وماهو إلاّ تمخضات الأنساق الخاصة« ولعل أوضح مثال على ما يمكن تقديمه في هذا السياق عمل فلادمير بروب»[2]. فقد شخص علاقة النسق الحكائي بالنسق السردي، فنسق الحكاية مرتبط بالنسق السردي العام، وهو ما تتثبته الدراسات الحديثة في كل ما يتعلق بالأنساق المختلفة وتشابكها، على أساس أنها قابلة للانتقال فعلا وقولا أو عن طريق التدوين تواترا من جيل إلى جيل آخر لما تتميز به من مرونة، « فالنسق الثقافي هو النظام السائد الذي يتضمن الرموز والمثاليات وتواصل الأجيال»[3].

إذن فالأعراف والتقاليد والشعائر والطقوس الدينية واللغة، واللّهجات المختلفة، والأمثال والحكم والألغاز، ونمط المعيشة والعلاقات الاجتماعية، والقيم المتعارف عليها، وطريقة المعاملات التجارية والاقتصادية، وما يحكمها من شرائع دينية، وقوانين وضعية، وسلطات مختلفة، وما انضوى عليه المجتمع الواحد من أفكار خاصة وعامة، وردات فعل إيجابية أحيانا وسلبية أخرى اتجاه مواقف معينة، إضافة إلى المناخ البيئي المتوفر(الموقع الجغرافي ومناخه)، كلها تنتظم في وثيقة واحدة شاملة مشكلة نسقا ثقافيا.

---

[1] . ينظر: أحمد يوسف، القراءة التنسيقية سلطة البنية ووهم المحادثة، مرجع سابق، ص121.

[2] . ينظر: أحمد يوسف، ، مرجع سابق، ص120.

[3] . ينظر: إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة(مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية) تاثقتفة العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2006،دط، دت، ص466.

كما للأنساق الثقافية أن تكون ظاهرة، فهي مضمرة أحيانا، مختبئة في اللّاوعي الفردي أو الجماعي، بعل التأثير والتأثر فالفرد لايمكنه العيش منعزلا عن المجتمع، وما المجتمع إلا مجموعة من الأفراد تشكلوا في نظام أسري، فكلاهما فاعل في الآخر مؤثر فيه.

ذهب "محمد مفتاح" إلى تعريف الأنساق الثقافية المفتوحة بأنها« التأرجح والأنموذج، وأن المنهجية الشمولية إذا حلت عناصر كل بنية وكشفت خصائصها، وامتدت إلى القوانين التي تحكمها، ثم استخلصت الوظيفة الجامعة بينهما، فعندها تؤدي إلى الكشف عن نظام العناصر وانتظامها»[1].

أما "سعيد يقطين" فيرى أن السياقين الثقافي والاجتماعي يحاصران التاريخ الزمني للنص المنتج« ولا يمكن لإنتاج الكاتب النصي أن يكون خارجا عن السياق الذي يتفاعل معه إيجابا أو سلبا قبولا أو رفضا، وهذه بنيات المنتج في زمنيتها التاريخية لهذا النص»[2]، إنما قصده من هذا دراسة أنساق النص المنتج ضمنيا أي المضمرة منها، أو قراءة مباشرة من خلال الأنساق الظاهرة، وذلك كله من كنه النص وعمقه.

إذن الأنساق الثقافية تكتشف بتحليل الظاهر والباطن للمنتج ذاته، وذلك يحيلنا إلى الإعتراف بازدواجية الخطاب نفسه، في إطاره الإجتماعي، فيخضع إلى الاستنتاج الظاهر من خلال الأنساق الظاهرة، والتأويل أي تقصي الأنساق المضمرة.

إجمالا إنّ أي منتج أدبي في إطار العلوم الإنسانية، والأجناس الأدبية المختلفة، لا يمكنه التملص من نواميس النقد الثقافي، التي صارت تخضع النص إلى قراءات متفاوتة الرؤية والتحليل، على اعتبار أن النصوص على اختلافها، وخاصة نص الأدب الرحلي ينطوي على أنساق ثقافية ماهي إلا بنى مضمرة نتيجة تراكمات لغوية تاريخية مترتبة نتجت عن

[1] . أحمد يوسف، القراءة النسقية، سلطة البنية، مرجع سابق، ص143.

[2] . سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء وبيروت، ط2،2001، ص34.

فعل الترحال، الذي أكسبها أفكارا ذات أبعاد متباينة وعديدة، ترافقها تصورات عن مجتمع من المجتمعات.

تفضي الدراسة الثقافية و الجمالية للخطاب الرحلي، حتما إلى تصنيف الأنساق الثقافية المضمرة والظاهرة إلى اجتماعية، دينية، اقتصادية، سياسية. . . وهذا الخطاب –أي الرحلي– يخفي بين طياته اللسانية بين ثقافية مختلفة مرجعيتها تاريخية وفكريّة في بوتقة معرفية أو اجتماعية.

د– الانساق الثقافية في رحلة أبو القاسم سعد الله:

لقد تعددت الأنساق الثقافية في رحلة أبو القاسم سعد الله حيث تنوعت بين أنساق ثقافية، اجتماعية، أنساق ثقافية دينية، وكل تلك الأنساق ظاهرها وباطنها في متن الرحلة قد كشفت عن عمق التثاقف بين بين الجزائر والدول العربية الأخرى، وصعّبت من تلقي أنساق الرّحلة هذه ذات الأحداث المتداخلة « بوصفها حوادث ثقافية، ومن ثم اكتناه أبعادها ومضمراتها النسقية، التي تبدو هي الأخرى على وشيجة تامة بالسياقات الثقافية والظروف التاريخية التي أنتجتها»[1].

1–النسق الثقافي الاجتماعي:

لكل مجتمع نسق اجتماعي عام تندرج تحته كافة أوجه السلوك الإنساني، ويتضمن مجموعة من النظم الإجماعية ذات قواعد سلوكية مستقرة تحت حكم الأنشطة الإنسانية، في ظل جمع من الأفراد المتفاعلين.

زخرت رحلة أبو القاسم سعد الله إلى المغرب بالعديد من العادات والتقاليد المتوارثة أبًا عن جد، ومن العادات والتقاليد التي لفتت انتباه الرحالة هو ذلك الكرم الحاتمي الذي يتحلى به

[1] . يوسف عليمات، النسق الثقافي(قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم)، منشورات وزارة الثقافة،ط1،2014،ص173.

أهل المغرب. فمن عادتهم استقبال الضيف بطريقة خاصة تقليدية أصيلة، تتمثل في تقديم طعام تقليدي من ضمن ثقافتهم، أما الجلوس فيكون فوق الزرابي المنمقة ذات الزخرفة المغربية، فيلتم الجميع حول صينية الطعام ويتناولونه جماعيا، لأن الأكل في طبق واحد من المظاهر التقليدية في المجتمع المغربي« ليشتركوا في تناول الطعام، ويُعبر ذلك عن معاني كثيرة وجليلة لدى المغاربة كالوحدة والإتحاد والتجانس والألفة والقرب والمساواة»[1].

1-1-نسق الطعام:

أعجب الرحالة كثيرا بالعادات التي لايزال المغربي متمسكا بها« تناولنا العشاء في منزل آل الصائغ على الطريقة المغربية التقليدية، بغسل الأيدي قبل وبعد الأكل، ثم تناولنا الطعام بمقدمة الأصابع في طبق واحد موضوع على صينية كبيرة لامعة»[2].

والطعام المقدم أكلة تقليدية متنوعة ومعروفة في المغرب، وعادة ما تكون مائدة الأنس«دسمة تبدأ بالبسطيلا المسكرة الملوز، وتثنى بالدجاج المحمر المتبل وتنقل إلى الكسكسي المصفّر بالزعفران الحّر والمدهون بأصيل الدّهان، وتختم بالفاكهة المنتقاة من خير ماتجود به حقول المغرب المعطاء»[3]

وتتبع القعدة لمّة حميمية في قاعة الجلوس، يتناول فيها الأفراد القهوة، ولا سيما الشاي الأخضر، فهو مشروب تقليدي الذي يكون غالبا حاضرا في مختلف سهرات المغاربة وليالي سمرهم يقول الرحالة«وقد جلسنا في بهو الفندق وأحضر لنا الشاي الأخضر وسهرنا حتى قرب العاشرة ليلا»[4].

2-1-نسق العيش:

---

[1] . منال عبد المنعم جاد الله، الاتصال الثقافي، ص216.

[2]. أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات،دط، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع،الجزائر،24ص.

[3]. المصدر نفسه،ص26

[4]. المصدر نفسه،ص 16.

حرص المغربي على إرتداء الجلابة المغربية عند الخروج من المنزل، وهذا اللباس يرتديه كلا الجنسين المرأة والرجل، وهوما شد انتباه سعد الله إذ لاحظ معظم النساء يرتدين« جلابة مغربية»[1]. والأمر نفسه بالنسبة للرجل المغربي، فقد ذكر أن أول ماشاهده وهو يدخل المكتبة الوطنية شيخا كبيرا كان« مرتديا جلابة مغربية وطربوشا»[2]، وما يميز جلابة الرجل عن جلابة المرأة هو طريقة التطريز.

وصور لنا سعد الله لون وشكل أجسام المغاربة قائلا«ورأيت وأنا في المكتبة شخصا كبير السن طويل القامة أبيض البشرة»[3].

وقد وصف الرحالة سعد الله طبيعة حياة المغاربة اليومية، فالمغربي يقضي يومه مثابرا لكسب قوت عياله، ويعد السوق واحدا من الأماكن التي يقصدها سكان القرية. يلتقي فيه أفراد البلدة يتبادلون فيه مختلف الاحداث التي جرت خلال الأسبوع، والسوق يحوي مختلف البضائع التي يحتاجها السكان، فهو مليئ« بالخضر والبقالة والدباغة والذهب واللحوم. . . »[4].

وعند تجوله في أحياء وشوارع المغرب لاحظ أن كثيرا من الشوارع المغربية«تحمل أسماء المدن المغربية العتيقة والعواصم الحالية مثل القاهرة عمان ودمشق وجدة والطائف والقدس وبيروت وحلب وحمص. وهو تقليد أجاد فيه المغاربة وهو بلا شك مظهر من مظاهر العراقة والمحافظة على التراث العربي الإسلامي»[5].

---

[1]. المصدر نفسه، ص7.

[2]. أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات،ص14.

[3]. المصدر نفسه،ص12.

[4]. المصدر نفسه، ص16.

[5]. المصدر نفسه، ص8.

2- النسق الديني:

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعتنق العقائد الروحية ويمارس الطقوس والشعائر التي تنظم علاقته بالكون وتوفر له الضمانات الذهنية والنفسية إزاء خبايا المستقبل. ولقد حفلت رحلة أبو القاسم سعد الله بذكر أماكن عديدة لا حصر لها، فالحج والعمرة من شعائر الإسلام، وتعنيان قصد وزيارة بيت الله الحرام لأداء مناسك مفروضة من إحرام وطواف ووقوف بعرفة وغيرها

2-1- طبوغرافيا الأماكن المقدسة:

الحج والعمرة من شعائر الإسلام، تعنيان قصد بيت الله الحرام، لآداء مناسك مفروضة من إحرام وطواف ووقوف بعرفة، فهو استجابة فطرية شرعية لأمر الله تعالى في قوله عز وجلّ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾[1].

زيارة البقاع المقدسة أمنية تراود كل مسلم، ولطالما ما تمنى سعد الله زيارة هذا المكان المقدس«راودني الخاطر للسفر استجابة لنداء روحي داخلي وحبا في الدراسة والاطلاع وربطا للماضي بالحاضر»[2]. تهفو كل النفوس لزيارة الحرمين الشريفين لأنها بلد الله الحرام«زيارة الاماكن المقدسة ورؤية أرض الله التي انبثق منها نور الإسلام وسارت منها قوافل الجهاد تنشر القرآن الكريم والسنة النبوية في مشارق الأرض ومغاربها»[3].

تحقق حلم سعد الله الذي كان ينتظره، بعد دعوة تلقاها للمشاركة في ندوة عالمية حول مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية من جامعة "الرياض"« ولكن من يستطيع أن يزور

---

[1]. القرآن الكريم،سورةالحج،الآية 27.

[2]. أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، ص38.

[3]. المصدر نفسه، ص39.

السعودية دون التعريج على الحرمين الشريفين؟ من يزور الحرمين أول مرة ولا يسجل ماتركه في نفسه من أثر»[1].

قام الرحالة أيضا بمسح لتضاريس الحرمين الشريفين، فلم يستثني مكانا منها وقع عليه بصره، فأحصى كل ذلك، وهو يشاهد المسجد ويتجول بين جدرانه وعرصاته، ويقف أمام الضريح الطاهر لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، فقد كان شديد التأثر ولم يصدق أنه يسير على تراب مكة المكرمة رغم المشقة والحاجة للنوم والطعام «شعور المرء بأنه يمشي على الارض التي ولد فيها الرسول، ونزل فيها الوحي، وانهزم فيها الكفر، وانتصب فيها مقام إبراهيم، جعل كل تعب يهون، وكل حاجة دنيوية تتضاءل»[2].

2-2-المراكز الدينية والأماكن الأثرية:

أ- الزوايا:

من أهم الزوايا التي وقف عندها الرحالة سعد الله، في رحلته إلى خنقة سيدي ناجي ووصفها بكل دقة هي الزاوية الناصرية والزاوية الرحمانية«وكان في الخنقة زاويتان: الناصرية والرحمانية. فالناصرية المنسوبة إلى محمد بن ناصر، قديمة تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري. وأما الزاوية الرحمانية، فهي حديثة نسبيا إذ تعود إلى القرن الثالث عشر ، مؤسسها هو الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الخنقي والرحمانية تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري»[3]. كان لهذه الزاويتين دور كبير في الخنقة، تعليم القرآن الكريم ونشر العلم هذا إلى جانب إطعام الطعام للفقراء، إلا أنه بعد إندلاع الثورة أصبحت الزاوية الرحمانية تقتصر فقط على العبادة«ولا شك أن زاوية الشيخ عبد الحفيظ قد بدأت بنشر العلم وإقراء القرآن وإطعام الطعام للفقراء، شأنه في ذلك شأن معظم الزوايا في القديم، ثم اختفى دورها

---

[1]. أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، ص39-40.

[2]. المصدر نفسه، ص55.

[3]. المصدر نفسه، 64-65.

العلمي مع تقدم الاستعمار، واقتصرت وظيفتها على الأمور التعبدية، حتى إقراء القرآن قيل أنه لم يعد بها منذ اندلاع الثورة»[1].

ب- المساجد:

تحوي قرية خنقة سيدي ناجي العديد من المراكز الدينية والعلمية التي وقف عندها الرحالة أبو القاسم سعد الله، وهي خمس مساجد نذكر منها:

1-1- الجامع الكبير:

يسمى أيضا بجامع سيدي مبارك، وهو مسجد أثري قديم يعود تأسيسه إلى « القرن الحادي عشر(17م) »[2]. ولم تقتصر مهمة الجامع على العبادة وآداء الصلوات الخمس«بلكا ن مركزا لنشر العلم حيث تتحلق فيه حلقات الدروس من شيوخ قال عنهم الورثلاني إنهم اشتهروا بالنحو والفقه والحديث ولاكنهملايحبون تدريس التوحيد والنطق. وطالما تبادل هؤلاء الشيوخ الرسائل والاجوبة في مختلف قضايا العلم»[3]. فوظيفة الجامعة لم تنحصر على العبادة فحسب.

2-1- مسجد السوق:

مسجد أثري بخنقة سيدي ناجي، تقام فيه الصلوات الخمس« وقد بني حسب التواتر خلال القرن الثاني عشر(18م)»[4].

3-1- مسجد زاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي:

---

[1]. أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، ص67.

[2]، المصدر نفسه، ص64.

[3]. المصدر نفسه، ص66.

[4]. المصدر نفسه، 64.

حمل اسم الشيخ المؤسس للزاوية«ناشر الطريقة الرحمانية في القرن الثالث عشر(19م). وقد جدد هذا المسجد أخيرا فقط(سنة 1979) السيد رشيد، حفيد الشيخ عبد الحفيظ»[1].

4-1- مسجد كزردة:

اسم إحدى القبائل القديمة، الذي اندثر الآن«لأن الفرنسيين هدموه سنة 1957، وبنوا فوقه وسكنوا البناء الجديد ثم غادروه دون أن يبقى أثر للمسجد»[2]. لأن المستعمر كان يمس الجزائري في صميم هويته.

5-1- مسجد سدراتة:

نسبة إلى اسم قبيلة تدعى سدراتة. ومسجد سدراتة بني في عهد الدولة العثمانية أي« بني قبل دخول الفرنسيين، وتقام فيه الصلوات الخمس بطريقة غير منتظمة. وهو المسجد الذي قرأ فيه الشيخ أحمد زروق بلمكي المذكور قبل ذهابه إلى خنشلة»[3].

3-3- المعتقدات:

لم يفوت سعد الله الفرصة وهو يشاهد بعض الممارسات والسلوكات التي كان يقوم بها المعتمرون ويذم أهلها« إن المرء يشاهد هناك أموراً مبالغا فيها ليست من الدين في شيء . . . فأنت ترى الباكين والنائحين، والمقبلين للحجر والحديد، والداعين غير الله . . . وكانت الشرطة تنهى عن فعل بعض هذه الأمور ، ولكن بلا جدوى»[4]. يعود القيام بهذه الأفعال المخالفة للشريعة الإسلامية إلى الحكومات الإسلامية، لتقصيرهم في تثقيف المسلم الثقافة

---

[1]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]. ابو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، ص64.

[3]. المصدر نفسه، ص64.

[4]. المصدر نفسه، ص53.

الإسلامية الحقيقة، وتعليمه الدين على حقيقته، حتى يتسنى له معرفة ما يقوم به عند القدوم لبيت الله الحرام.

3- النسق الثقافي الفكري:

إن الدافع الثقافي والفكري لطالما كان الداعي الاول لكل رحلات سعد الله، بل شكل سفره للمغرب والجزيرة العربيو خنقة سيدي ناجي فرصة لتحقيق أمنياته وإشباع نهمه الثقافي، والنهل من الينابيع الحضارية لهذه البلدان والأماكن، وكذا إتمام بحوثه حول تاريخ الجزائر الثقافي، خاصة من أدب الرحلات في حد ذاته، وجمع المادة التاريخية النادرة لكتابه، وقد حرص ألا يقتصر على ذكر المخطوطات الأثرية التي يريدها، بل ذكر المخطوطات الأخرى التي صادفته أو سمع بها، لعلها تهم الباحثين في المشرق أو المغرب وقد اعترف بذلك قائلا:« وقد ذكرت في آخر هذا العرض بعض أسماء المخطوطات التي لم تكن تهمني مباشرة لأني أعرف أنها تهم بعض الباحثين في المغرب العربي والمشرق»[1].

1-3- المخطوطات:

كان سعيه الحثيث في البحث عن المخطوطات الرحلية التاريخية لا يخبو سواء في المغرب أو في الجزيرة العربية وحتى في الخنقة، فلا يكاد يترك مكتبة أو مركزا ثقافيا أو أرشيفا أو كلية أو جامعة وحتى المساجد والزوايا إلا طرق بابه، وسأل أهلها عما فيها من مخطوطات وكتب.

[1]. أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، ص4.

وقد سجل الرحالة العديد من المخطوطات الجزائرية، والعربية، منطلقا في البداية في طلب المخطوطات الجزائرية« بدأت أطلب المخطوطات الجزائرية التي وجدت منها هناك ثروة لا تقدر بثمن. وكنت أعرف أسماء بعض هذه المخطوطات من قبل كما أعرف أرقامها في الخزانة، ولكن بعضها قد اكتشفته بعد ممارسة للبطاقات والتعرف على ما تحتويه المكتبة من ذخائر ونوادر»[1].

أول مكتبة انتقل إليها الرحالة في رحلته إلى المغرب هي المكتبة الوطنية المسماة (الخزانة العامة) والتي التقى فيها بالعديد من الباحثين الجزائريينوالعرب الذين كانو يبحثون عن المخطوطات الرحلية ومن الذين التقى بهم كما يذكر:« الأستاذ محمد بن إبراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات بالخزانة العامة، الذي التقيت به عند خروجنا من المكتبة منتصف النهار. وقد سبق لي أن تعرفت على الأستاذ الكتاني في مؤتمر كتاب المغرب العربي الذي انعقد بطرابلس بليبيا سنة »1969»[2].

والأستاذ المغربي الكتاني يولي اهتماما كبيرا بالبحث في المخطوطات ، وهو من الذين قدموا بحوثا قيمة في هذا المجال وقد أهدى للرحالة أعماله الأخيرة منها:

1-أبو عبد الله بن المناصف، المجتهد المغربي، فصلة من مجلة (الباحث) عدد2، 1972، ص:1-72.

2- العثور على الورقات الأخيرة من كتاب البيان المغربي لابن عذاري المراكشي، فصلة من مجلة(تطوان) عدد10، 1965، ص:237-244.

3-سلفية الإمام مالك، دراسة في 39 صفحة. (دون ذكر مكان طبعها، ولا تاريخ).

---

[1]. المصدر نفسه، ص09.

[2]. المصدر نفسه، ص 10.

4- بمناسبة مرور عشرين سنة على تأسيس جمعية العلماء، دراسة 8 صفحات على الآلة الراقنة نشرها في جريدة (العلم) المغربية سنة 1951، مضمون الدراسة جاء فيها: « تحدث فيها بالخصوص عن صلته بالشيخ البشير الإبراهيمي. وقد جاء فيها ان للمرحوم الإبراهيمي كتبا مخطوطة منها كتاب "الكبير" في المقارنة بين تاريخ العلم بالمشرق وتاريخه بالمغرب، وآخر"مطول" عن الشيخ باديس، كان الإبراهيمي قد كتبه في منفاه بآفلو»[1].

توجه الرّحالة أيضا إلى مكتبة الطالب لعبد القادر المكناسي، والتي تحوي كتبا كبيرة لا سيما كتب الأثرية عن المغرب قائلا:« الترجمانة الكبرى لابي القاسم سعد الزيانيو(تاريخ البيدق)»[2]. والترجمانة الكبرى رحلة قام بها الزياني خارج المغرب الأقصى.

كا عثر الرحالة على عنوان مخطوطين للجزائري التونسي أحمد التيفاشي وهما «(رسالة المعادن والأحجار)(. . .)و(زهر الأفكار في جواهر الحجاز)(. . .) ويوجد من الأول نسخة على الأقل ومن الأخير عدّة نسخ»[3]، كان لآثار (أحمد التيفاشي) أهمية عظمى لدى الأوربيين، وهذا ما ذكره سعد الله«الأستاذ أبو القاسم كرو يجمع آثار التيفاشي ويعتزم نشر بعضها والتعريف بحياة صاحبها»[4]. لعلها تفيد الباحث العربي.

ووجد أيضا «نسخة مجلدة سليمة من كتاب (تحفة الزائر) للأمير محمد باشا في طبعته الأولى(1903)»[5]. وهذا الكتاب في جزئين، الأول سيرته السيفية[1]، والجزء الثاني في سيرته العلمية.

---

[1]أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات،ص10.

[2]. المصدر نفسه، ص14.

[3]. المصدر نفسه، ص36.

[4] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]. المصدر نفسه، ص15.

كما ذكر أبو القاسم سعد الله أحيانا عناوين بعض الكتب التراثية منها كتاب (مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا) لعبد العزيز الفشتاني، الذي حققه ونشره عبد الكريم يقول سعد الله عن هذا الكتاب«هو من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة لسنة 1973 ويقع في 307 صفحات بدون فهارس وقد كتب له مقدمة في 24 صفحة. وفي الكتاب أخبار كثيرة عن العلاقات الجزائرية المغربية خلال القرن السادس عشر ميلادي»[2].

وما شد اهتمام الرحالة هو كتاب (الاكتفاء في أخبار الخلفاء)لأبي مروان عبد المالك بن أبي القاسم التوزوري المعروف بابن الكربدوس. لأن الرحالة أبو القاسم سعد الله وهو بصدد تحقيق رحلة ابن حمادوش الجزائري وجد أن هذا الرحالة يشير إلى هذا الكتاب« وتذكر المصادر أن ابن الكربدوس كان حيا سنة 575هـ. وكنت أعرف من قبل أنه توجد من هذا الكتاب نسخ في تونس، بلد المؤلف، وفي مدريد، وقد رأيت منه في المغرب نسخا كثيرة. منها واحدة في جزئينضخميين في المكتبة الكتانية. والجزء الثاني غير التام يبدأ بتاريخ الدولة العباسية»[3].

كما اطلع الرحالة أيضا على آثار ابي القاسم الزياني والتي جعلها في ثلاثة: (الترجمان المعرب) وهو كتاب في التاريخ العام و (الترجمانة الكبرى) ، كما أشرنا إليه من قبل والذي يقول فيه:« ـ ورأيت لأبي القاسم الزياني كتابه (الترجمان المعرب) نصفه بخط المهاجر الجزائري أبي حامد العربي المشرفي، أي من صفحة 341 إلى آخر الكتاب الذي يصل إلى 632. وكان الزياني قد ألف كتابه هذا في مدينة تلمسان، وقد بدأه بآدم عليه السلام، ومن أبوابه آل عمران وفتوحاتهم (الباب14)، وبنو مرين وبنو عبد الواد حتى تغلب الترك

---

[1]. للإطلاع على هذا الكتاب ينظر: محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1 سيرته السيفية، المطبعة التجارية، دط، الإسكندرية، 1903.

[2]أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، ص17.

[3]. المصدر نفسه، ص35.

(الباب18) ، السعديون بالمغرب والسودان (الباب 19)، ودولة الشرفاء بسلجمانة (الباب 20)»[1] وهذا ما جعل الزياني يملك مكانة مرموقة في المغرب.

كل ما زخرت به رحلة أبو القاسم سعد الله، من المخطوطات و الكتب ذات الكم الهائل، ما هي إلا نماذج قليلة، لأن الرحالة لو تطرق في الحديث عنها لاحتاج إلى وقت طويل. وقد عبر عن ذلك قائلا:« ولعلي لو ذكرت هنا كل ما وقعت عليه عيناي من كتب الرحلات والتاريخ والآداب خلال رحلتي لأثقلت على القارئ. وحسبي هذه العجالة. أما ما طالعته أو قيدته عن الجزائر بأقلام جزائريين« فحدث عن البحر ولا حرج» وهوبيت القصيد من كل رحلة. ولعلي أدمه في مناسبة أخرى بشكل أبجدي يفيد المستفيد، ويستزيد منه المستزيد»[2].

ووفرة الكتب العربية القديمة منها والحديثة في المغرب الأقصى جعلته يقطع أشواطا كبيرة في الميدان العلمي.

2-3- الثقافة والتعليم:

أشاد الرحالة بما تمتاز به تلك الدول العربية من جامعات، وما تحتويه من صروخ ثقافية مجهزة بكل الوسائل التي تسير البحث وتشجع عليه« وما تمتاز به جامعة الرياض أنها تمتلك مطبعة خاصة بها. ولذلك كانت المطبوعات تأتي تباعاَ وبانتظام مع وفرة الورق وجودة الطباعة»[3].

انبهر سعد الله على حسن التنظيم الذي يدير بها السعوديين والمغاربة شؤون الثقافة والتعليم عندهم«الانضباط في المواعيد كسر كل إشاعة من أن العربي لايعرف معنى الوقت»[4].

---

[1]. المصدر نفسه، ص36.

[2]. أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، ص37.

[3]. المصدر نفسه، ص46.

[4]. المصدر نفسه، ص47.

كما تأسف الرحالة شديدا على حال الثقافة عندنا، فكلما رصدت حسنة عند غيرنا إلا كانت نقيصة فينا، وأيضا المثقف عندهم شديد الاهتمام والحرص على بذل مجهود كبير في سبيل البحث على عكس ما تميز به مثقفونا« الكسل العقلي الذي يعاني منه الجزائري، والذي يحرمه من المساهمة في الندوات والمؤتمرات العالمية وتمثيل بلاده أحسن تمثيل»[1]، وقد أصبحت هذه ظاهرة تلفت النظر لدى علماء الجزائر في كل الملتقيات، والتغيب عن الحضور دون مبررات.

[1]. المصدر نفسه، ص44.

الخاتمة

خاتمة

خاتمة:

بعد إتمام هذا البحث المتواضع الموسوم بـ"الرحلة الجزائرية الحديثة الأنساق الثقافية في رحلة أبي القاسم سعد الله"، والذي قدمته في فصلين ، حيث تم تحديد بغض المصطلحات التي وظفتها وحاولت تبين مفهومها، كالنّسق والنسق الثقافي، و أثناء حديثي عن الرحلة الورثيلانية، وجدت أن معظم الدراسات حولها متقاربة، فهي إما حول ماهو تاريخي أو جغرافي أو اجتماعي، فحاولت التفرد بهذه الدّراسة لتقديم شيء جديد يتناول الأنساق الثقافية التي زخرت بها هذه الرحلة، فتوصلت إلى بعض النتائج خلاصتها مايلي:

- أنّ الأدب العربي عموما والجزائري خصوصا قد حفل بالرحلة وأدبها تأليفا ودراسة، لما لها من أهمية في الحياة العربية والإنسانية، ويشهد على ذلك تعدد رحلات الجزائريين خاصة في العصر الحديث، وبالتحديد في القرن العشرين، الذي عد بحق عصر نهضة أدب الرحلة، سواء الدّاخلية التي قادتهم إلى مختلف أنحاء الوطن، أو الخارجية أو الخارجية التي كانت وجهتهم في الغالب نحو الشرق.

- من المؤسف حقا، أنّ الكثير من هذه الرحلات لم يدونها أصحابها، أو لم تصلها أيادي المحققين، ولم تتصد لها أقلام الباحثين، بحكم ضياعها، أو لاستحواذ البعض ممن لايقدرون قيمتها.

- ما يميز هذه الرحلات هو أنها غير مدونة في مؤلف خاص، وإنما هي منشورة في معظمها في الجرائد والمجلات كالبصائر، والشعب، والمجاهد الثقافي، والشهاب، سواء كانت تبك الرّحلات خلال الفترة الاستعمارية أو كانت بعد الاستقلال.

- إنّ أدب الرحلة الجزائري استطاع أن يوثّق ويحفظ الكثير من التراث الجزائري والعربي، وينقلها بصورة حية وصادقة، خاصة وأن العديد منها مهدد بالضياع،

خاتمة

فالرحلات بذلك أعطت صورة واقعية لبعض مظاهر الحياة في مختلف المدن الجزائرية والبلدان العربية من عادات وتقاليد ومعتقدات، وكانت مصادر هامة يعتد إليها الباحثون في مختلف المجلات والعصور.

- إنّ الأنساق الثقافية التي حوتها هذه الرّحلات باختلافها، تتفاوت من رحلة إلى أخرى، فرحلات أبو القاسم سعد الله الداخلية تزخر بالأنساق الثقافية الاجتماعية والدينية، بينما رحلته إلى المغرب تزخر بالأنساق الثقافية الفكرية والاجتماعية.

- لقد كان اهتمام سعد الله في هذه الرّحلات وشغله الشاغل البحث عن المخوطات والكتب، وجمع المعلومات ممن لقيهم أو صادفهم في رحلاته، من أجل إتمام مشروع بحثه المتعلق بتاريخ الجزائر الثقافي.

- قدرة الرحالة على تصوير المشاهد المثيرة للعواطف، والتأثر إيجابا وسلبا، متكئا في ذلك على السرد والحكي.

- بالرغم من أن القرن العشرين يعد عصر التكنولوجيا والعصرنة، إلا أن هناك جوانب عدة من المعتقدات والتقاليد التي لايزال المجتمع الجزائري متشبثا بها، لا سيما تلك المتعلقة بالعلاقات الإجتماعية (الاحترام والتقدير، والتضامن، . . .) والعادات والتقاليد، لأن المجتمع الجزائري يدرك أن التطور هو الذي يرعاه ويقيه من الضياع.

- إن النسق الفكري الثقافي كان له حيز واسع في الرحلات الجزائرية، فمعظم الرحالين تحدثوا عن مختلف المكتبات التي زاروها وذكرو المخطوطات المتواجدة بها، هذا إلى جانب استغلال بعض الفرصة لحضور حلقات العلم لتبادل المعارف، وهذا يبين أن النسق الثقافي الفكري لايزال مستمرا وتحظى بعناية المحققين والناشرين ورحلة أبو القاسم سعد الله خير دليل على ذلك التقدير.

خاتمة

- لقد تبين من خلال هذه الدراسة أن الأدب الجزائري ثريّ بالكثير من الرّحلات البكر التي ما زال بعضها مخطوطا أو منشورا في الجرائد والمجلات، لكنها بحاجة لمن يهتم بها، فيحققها ويدرسها، ويعرف بها.

وفي الختام أرجو أن قد وفقت في هذا البحث، وان يثمر جهدي في الإسهام ولو بالقدر القليل للتعريف بالرّحلة في الأدب الجزائري الحديث، متمنية من الله عزّ وجل السّداد والتوفيق، والحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة الملاحق

قائمة الملاحق

1- التعريف بالرحالة ورحلاته:

هو بلقاسم بن أحمد علي سعد الله، ولد بقرية"البدوع" غرب مدينة قمار التابعة لولاية"وادي سوف" عام 1931م على الأرجح، العام الذي واكب ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويعود أصله من أبيه-كما يؤرخ لنفسه- إلى قبائل اليمن التي هاجر بعضها إلى قفصة بتونس، ثم وادي سوف[186]. نشأفي أسرة محافظة بسيطة تمتهن الزراعة وغرس النخيل[187]، وفي بيئة صحراوية قاسية زاد الاستعمار البغيض من وطأتها ومن معاناة آل سعد الله، انضم منذ صغره إلى الكتاتيب رفقة أقرانه بمسقط رأسه، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون وقواعد اللغة العربية.

ثم أتمّ دراسته بالزيتونة بتونس أين مكث فيها سبع سنوات، لينتقل بعدها إلى مصر، حيث حصل على العديد من الشهادات في مختلف اللغات والعلوم الإنسانية كالعلوم الإسلامية والادب العربي والصحافة، كما سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليتحصل فيها على دكتوراه في التاريخ والعلوم السياسية.

زار مختلف البلدان الشرقية والغربية والأوربية، عاملا بها مدرسا ومشرفا في الجامعات[188] ومشاركا في كل مكتباتها ومراكزها الثقافية، كما انضم إلى مجمع اللغة العربية كعضو بارزا بالقاهرة ودمشق. نشر العديد من المقالات والقصائد في مختلف المجلات والجرائد الجزائرية والتونسية، كالبصائر والشعب والمجاهد الثقافي وغيرها.

---

[186]. ينظر: أبو القاسم سعد الله: حياتي، تق، أحمد سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، طبعة خاصة، 2015، ص10.

[187] . ينظر: المصدر نفسه، ص12.

[188]. بلغيث محمد الأمين: رحيل شيخ المؤرخين االجزائريين ابو القاسم سعد الله بأقلام أحبابه، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر،ط1، 2014،ص15.

يعد أبو القاسم سعد الله كاتبا وباحثا ومؤلفا موسوعيا، برع في العديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية واللغات، أجاد الإبداع في اللغة العربية شعرا ونثرا، ألّف وترجم الكثير من الكتب التاريخ والادب والسياسة، كما حقق في العديد من المخطوطات.

توفي أبو القاسم سعد الله في 14 نوفمبر 2014م- رحمه الله- تاركا رصيدا هائلا من العمل والإبداع والمشاركات والبحوث والمؤلفات، خدمة لدينه ولوطنه وللفكر والثقافة.

أبو القاسم سعد الله شخصية وطنية، وباحث موسوعي، يشهد البعيد والقريب على فضله ومكانته العلمية وشخصيته الدينية والوطنية الملتزمة، حيث قيل فيه:« شيخ المؤرخين، مؤسس المدرسة التاريخية، أديبا وناقدا، كان عالما موسوعيا، بل عالما من زمرة الكبار، كما جمع مع علمه سمتا حسنا ونبلا كبيرا»[189] وقيل فيه أيضا:« هو جبل من المعرفة أسّه الدين وسفحه الوطنية وقمته العلم، فإذا مزجت قيم الدين بمادة العلم، نتج عن ذلك هذا العالم المتميّز، عظمته في بساطته، وسموه في تواضعه، وقوته في صلابته، وشموخه في اعتداله»[190]، تلك هي باختصار مقومات وصفات رجل مخلص وهب نفسه وقلمه وفكره وحياته خدمة لدينه وأمّته ووطنه.

2- التعريف برحلات أبو القاسم سعد الله:

تعددت جهود أبو القاسم سعد الله، في مجال الرّحلة، فهو من الرّحالة الذين إرتحلو كثيرا وقد مارس فنّ الكتابة عن رحلاته ورحلات غيره، فاستفاد من ثماره كما عانى من مشقته، إذ من صفات أدب الرّحلة أن يكون من يكتب عن الرّحلة رحّالا بطبعه محبّا للرحلات. وككل العلماء والباحثين الذين كان للرحلة نصيب وأثر في حياتهم. فقد دفعته الظروف الإستعمارية في بلده الجزائر إلى السفر والترحال في مرحلة مبكرة من حياته، فقد قام سعد الله بعدة رحلات مختلفة القصد والوجهة داخل الوطن وخارجه، أمّا داخل الوطن فقد قادته

[189]. بلغيث محمد الامين: رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله بأقلام أحبابه، ص319.

[190]. عبد الرزاق قسوم: أعلام ومواقف في ذاكرة الأمّة، الدار العثمانية، الجزائر، 2004، ص218.

إلى عدة مناطق بالجزائر باختلافها واتساعها، كالجزائر العاصمة ووادي سوف وبسكرة وغيرها، اما خارجه فقد شملت كل من مصر والمغرب والسعودية وأمريكا وغيرها، لكن مايهمنا من هذه الرّحلات ما دونه في كتابه"مجموع رحلات" وتتمثل هذه الرّحلات في:

2-2- رحلة أبي القاسم سعد الله إلى المغرب "29 يوليو 1973م":

استغرقت نحو عشرين يوما، حيث تنوعت أسباب رحلته ودوافعها في قوله: « ولا أكتم نفسي أن الرّحلة كانت ذات فائدة عظيمة لي. إذ لم أجمع فقط خلالها مادة جديدة نادرة لكتابي عن تاريخ الجزائر الثقافي، ولكنني تعرفت أيضا على عديد من رجالات المغرب الحديث شيبا وشبابًا، يمينا ويسارا»[191]، وقد وصف فيها شوارعها وبناياتها ومطاراتها ومراكزها الثقافية وحتى شاطئها وأضرحتها ونزلها، وكلّ ماكان يصادفه في مسيرته، معبرا عن إعجابه بها، كما أسهب في وصف أهلها من أصحابه القدامى ومعارفه وكل من التقى بهم واجتمع بهم، سواء في المراكز الثقافية أو المكتبات وحتى في بيوتهم أثناء تنقلاته المختلفة في المغرب، مثنيا على كل من ساعده في بحثه حول تاريخ الجزائر الثقافي، معترفا بجميلهم وفضلهم وماقدموه للثقافة العربية كعباس الجراري والدكتور عبد الكريم" المنوفي والكتّاني".

2-3- رحلة أبو القاسم سعد الله إلى الجزيرة العربية" أبريل 1977م" :

قادته إلى "السعودية " لحظور الندوة العالمية لمصادر دراسات تاريخ الجزيرة العربية في أبريل 1977م، وقد عبر عن استعداده الروحي لقصد بلاد المشاعر الإسلامية قائلا:« ذلك أنه طالما راودني الخاطر للسفر إليها استجابة لنداء روحي داخلي وحبا في الدراسة

[191]. أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011،ص4.

وتالاطلاع وربطًا للماضي بالحاضر»[192]، وقد سجل في رحلته هاته يومياته واطباعته ومشاهداته التي غطت الكثير من مظاهر الحياة التي يرصدها.

لكن سعد الله اكتفى فيما دونه عن رحلته هذه بتسجيل واستعراض جوانب من الندوة العلمية التي دعي إليها، ومايمت لها من زيارات وحفلات ومشاهدات وأحاديث وقراءات، خاصة تلك التي ارتبطت بالحرمين الشريفين.

ولم يخفي سعد الله إعجابه وانبهاره بالتطور العمراني والحضاري والثقافي للبلد في كل مراحل رحلته، معرفا ببعض شخصياته الدينية والثقافية من الجيل الجديد والقديم، وكذلك اماكن الأثرية ومكتباتها، مثنيا على حسن التنظيم والضيافة التي حظي بها من طرف السعوديين.

2-4- زيارته لخنقة سيدي ناجي "08 فبراير 1980م":

تعد من أولى رحلاته الداخلية نشرا، وقد نشرها في مجلة سيرتا1980 العدد الثالث وضمنها في كتابه مجموع رحلات، وقد كان الدافع لزيارتها ما قرأه عنها في كتب الرحّالة كـ "العياشي والورثلاني والقماري".

كانت بداية الرحلة من"بسكرة" مرورا "بسيدي عقبة وزريبة الوادي" وبعض القرى الأخرى، حيث اكتسبته رحلته طابعا سياسيا استطلاعيا رغم القصد الثقافي منها، فنجده يذكر ويصف كل الأماكن التي زارها، معرفا بأهلها وعرشها ومن التقى بهم، متأسفا على حال الخنقة وعلى أوضاع ألها الاجتماعية والثقافية المتهالكة.

وتجدر الإشارة إلى أن سعد الله أورد في كتابه"مجموع رحلات" رحلتين أخريين ليستا من تأليه، إحداها ترجمها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وهي رحلة الأمير الألماني"موسكاو" إلى عنابة، كما أورد حديثا فيه تحقيق حول رحلة"المنى والمنّة لابن طوير الجنّة" ذاكرا فيه دواعي رحلته بإيجاز وما كتبه المترجمون والباحثون حولها، وعن سعيه

[192]. المرجع نفسه، ص38.

الحثيث عند سفره إلى المغرب للبحث عن نسخة من مخطوطها، كما تناول في كتابه بعض القضايا الأدبية والتاريخية، وضمنه بعض الحوارات التي أنجزت معه، وقد نشرته المعرفة الدولية 2011م.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم .**

***المصادر:**

1. سعد الله أبو قاسم: مجموع رحلات، دط، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر.

2. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.

3. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2007.

4. ابن باديس عبد الحميد، ابن باديس: حياته وآثاره، ج4، جمع ودراسة: عمار طالبي، الشركة الجزائرية، ط1، الجزائر، 1968.

5. ابن بطوطة محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة،ج1، حفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1- ج2، موفم للنشر، دط، الجزائر«الرغاية»، 1988.

6. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ج1، تقديم: سليم بابا عمر، موفم للنشر، دط، رغاية الجزائر، 1988.

7. ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله ، الطباعة الشعبية للجيش، دط، الجزائر ، 2007.

8. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ج1، تح: درويش جويدي، المكتبة المصرية، ط2، بيروت، 2000م.

9. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1 تح: محمد شاكر، دار المعارف، دط، القاهرة، دت.

قائمة المصادر والمراجع

10. أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، ج2، ط2، (مادة رحل)، دار الفكر ، سوريا، 1979.

11. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، ج3، القاهرة، دط، دت.

12. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، باشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005.

13. بطرس البستاني، دائرة المعارف، مج8، مطبعة المعارف، د ط، بيروت، 1884م.

14. الورثلاني سيدي الحسن بن محمد، الرحلة الورثلانية، الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج1، تقديم محمد بن أبي شنب ، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2008م.

15. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي في المغرب، المكتبة البوليسية، ط1، لبنان، 1982.

16. خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مج1، تح: المنصف الشنوفي، شركة أوربيس للطباعة، ط2، تونس، 2000.

17. الطهطاوي رفاعة رافع، تلخيص الإبريز في تعلخيصباريز، تقديم: الصغير بن عمار، موفم للنشر، دط، الجزائر(رغاية)، 1991.

18. زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1979.

19. المسعودي أبو الحسين علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، موفم للنشر، دط، الجزائر رغاية، 1989.

20. النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال، دط، مصر، 1911.

21. الاعشى ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، دار صادر، دط، بيروت، 1994.

22. وهيب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 2003.

***المراجع:**

1. أبي حامد أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1986م.

2. أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة الجزائري ابن حمادوش: حياته وأثاره، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1982.

3. ابراهيم أحمد العدوي، ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، مصر، د ط، 1954م.

4. سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النّشأة والتّطور والبنية، دار الهدى ، الجزائر، 2009م.

5. عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر بن عكنون، 1995م.

6. محمد صالح الجابري، رحلات جزائرية، تق، محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001م.

7. سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب، دط، القاهرة، دت.

8. سيد حامد النساج، أدب الرّحلات في حياتنا اليومية، مجلّة العربي، الكويت، يناير 1987م.

9. حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة للنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1983.

10. شعيب حليفي، الرّحلة في الأدب العربي، التجنيس. . . آليات الكتابة. . خطاب المتخيل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.

11. عبد الله الركيبي، الأعمال الكاملة، مج4، دار الكتاب العربي، 2011.

قائمة المصادر والمراجع

12. زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، دط، 1981.

13. نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلة الأندلسية والمغربية، حتى نهاية القرن التاسع عشر الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2008.

14. بن محمد العبدريالبلنسي، الرّحلة المغربية، تح: أحمد جدّو، مطبعة البعث، نشر كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة، ط1.

15. عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام: أنواعها وأدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 1992.

16. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ط2، القاهرة، 2002.

17. عبد الفتاح كيليطو، الحكاية والتأويل – دراسات في السرد العربي– دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، ط2، 1997.

18. مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، متون الحديث الشريف، دار الكتب العلمية، ج17، بيروت، 1992.

19. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية+ مكتبة الوفاء للطباعة والتوزيع، القاهرة، ط1، 1995.

20. حسين نصار: أدب الرحلة، دار نوبال للطباعة+ الشركة المصرية العالمية والنشر، القاهرة، ط1، 1991.

21. عبد الفتاح محمد وهيبة، مكانة الجغرافيا من الثقافة الإسلامية، طبع في دار الأحد (البحيري إخوان)، د ط، بيروت، 1979.

22. عبد الله إبراهيم ، المركزية الإسلامية: صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، المركزالثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء(المغرب، بيروت)، 2001.

قائمة المصادر والمراجع

23. سبايارداناك، الرحالة العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، نوفل للطباعة، ط2، 1992.

24. شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1956.

25. عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر « بن عكنون» 1995.

26. عواطف محمد يوسف نواب، الرلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، سنة 1417هـ-1996 .

27. عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1978.

28. عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق: من الأدب الجغرافي في التراث العربي، منشأة المعارف، د ط، الإسكندرية، 1995.

29. . المسعودي أبو حسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تقديم محمد السويدي، موقع للنشر، د ط، الجزائر، 1989.

30. محمد فتاح، التشابه والإختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1996.

31. أحمد أبو سعد، أدب الرحلات، وتطوره في الأدب العربي، ط1، منشورات دار الشرق الجديدة، بيروت، ديسمبر 1961.

32. عباس بن يحي، مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر ، (عين مليلة)، دت.

33. أحمد يوسف، القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحاثية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف 2007.

34. عبد الله محمد الغذّامي وعبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى سنة 2004.

35. أحمد يوسف، القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحادثة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2007، ط1.

36. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء وبيروت، 2001.

37. يوسف عليمات، النسق الثقافي(قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم)، منشورات وزارة الثقافة، ، ط1 ، 2014

***المراجع المترجمة:**

1. كراتشوفسكي اغناطيوس يوليانو فيتش: تاريخ الأدب الجغرافي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1987م.

***المجلات والجرائد:**

1. إنجيل بطرس، الرّحلة في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، العدد 7، مصر، يوليو، 1975 م.

2. حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، دط، القاهرة، 2003، نقلا عن مقالة الفردوس أحمدين 01-04-2016، مجلة اللغة جامعة كرة الإسلامية (فنون أهمية الرحلات من الناحية الأدبية).

3. حسين محمد فهيم، أدب الرّحلات، سلسلة علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 138، يونيو 1989.

4. سميرة انساعد، صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد كتاب العرب، دمشق، ع97، السنة 24، آذار 2005.

***الرسائل الجامعية:**

1. شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة الرّحلة/ نسيج الوقع والخيال، أطروحة ماجستير، اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأمريكية في بيروت، 2003.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء.....

شكر وعرفان .....

مقدمة: .....أ

الفصل الاولالرحلة الجزائرية الحديثة المفهوم والنشأة.....

الرحلة أنواعها ودواعي تدوينها ..... Erreur ! Signet non défini.

1-تعريف أدب الرحلة 6

2 - دوافع الرحلة وأنواعها 8

1-دواعي الرحلة 8

د- أنواع الرحلة 11

1-الرحلات الحقيقية 11

2- رحلات خيالية..... 15

3- أدب الرحلة المفهوم والنشأة والمميزات..... 15

4- أدبية الرّحلة من منظور بلاغي..... 21

5- نشأة أدب الرحلة..... 23

6- الرحلات الجزائرية إبان الثورة التحريرية(1954م -1962) 42

6-1- رحلة الشيخ محمد المنصوري الغسيري..... 42

6-2- رحلة الشيخ البشير الإبراهيمي..... 43

6-3- رحلة الشيخ العربي التبسي 43

6-4- رحلة الباهي فضلاء 44

6-5- رحلة الشيخ العباسي 44

6-6- رحلة محمد الصالح رمضان 44

6-7- رحلات الطيب بن عيسى 45

6-8- رحلة الشاعر حمزة بوكوشة 46

6-9- أحمد حسين المهيري 46

7- مميزات أدب الرحلة 46

الفصل الثانيالأنساق الثقافية في رحلةأبو القاسم سعد الله .....

1- مفهوم النسق 49

ج- مفهوم النسق الثقافي 51

د- الانساق الثقافية في رحلة أبو القاسم سعد الله 56

1-النسق الثقافي الاجتماعي 56

1-1-نسق الطعام 57

1-2-نسق العيش 57

2-النسق الديني 59

3-**النسق الثقافي الفكري** 63

خاتمة 70

قائمة الملاحق 73

قائمة المصادر والمراجع 80

ملخص البحث بالعربية:

دأب الناس على فعل السفر والتنقل من مكان إلى آخر، فقام كثير منهم والعلماء خاصة، إذ دوّنوا رحلاتهم، وقيدوا أحداثها، وسجلوا مغامراتهم عن طريق الحكي والسّرد، فنتج من بينها أدب الرحلة، هذا الجنس الأدبي الموسوعي المتفتّح على علوم مختلفة، وكذلك كانت رحلة أبو القاسم سعد الله.

إنّ هذه الدراسة النقدية الموسومة بالرحلة الجزائرية الحديثة الأنساق الثقافية أبو القاسم سعد الله أنموذجا تأتي لتبين مدى نجاعة المناهج النقدية الحديثة، خاصة في الكشف عن الأنساق الثقافية المتعددة ضمن النّص الواحد، من اجتماعية، دينية، فكرية، هذا النص المثقل بثقافات تتباين أحيانا، ويشاكل بعضها بعضا أخرى، لتزول البنى والأنساق الثقافية.

الكلمات المفتاحية: الرحلة الجزائرية، الأنساق الثقافية.

Résumé en français

Les gens avaient l'habitude de voyager et de se déplacer d'un endroit à un autre, tant d'entre eux, en particulier des universitaires, ont enregistré leurs voyages, restreint leurs événements et enregistré leurs aventures à travers la narration et la narration, aboutissant à la littérature de voyage, ce genre littéraire ouvert à différentes sciences, et ainsi était le voyage d'Abu Qasim Saad Allah.

Cette étude critique, marquée par le parcours algérien moderne, les systèmes culturels d'Abu al-Qasim Saadallah, est un modèle qui vient montrer l'efficacité des approches critiques modernes, notamment en révélant les multiples systèmes culturels au sein d'un même texte, à partir du social, religieux et intellectuel, ce texte est chargé de cultures parfois différentes, et certaines en forment d'autres, pour que les structures et les systèmes culturels disparaissent.

Mots-clés : Voyage algérien, modèles culturels.

تم بحمد الله